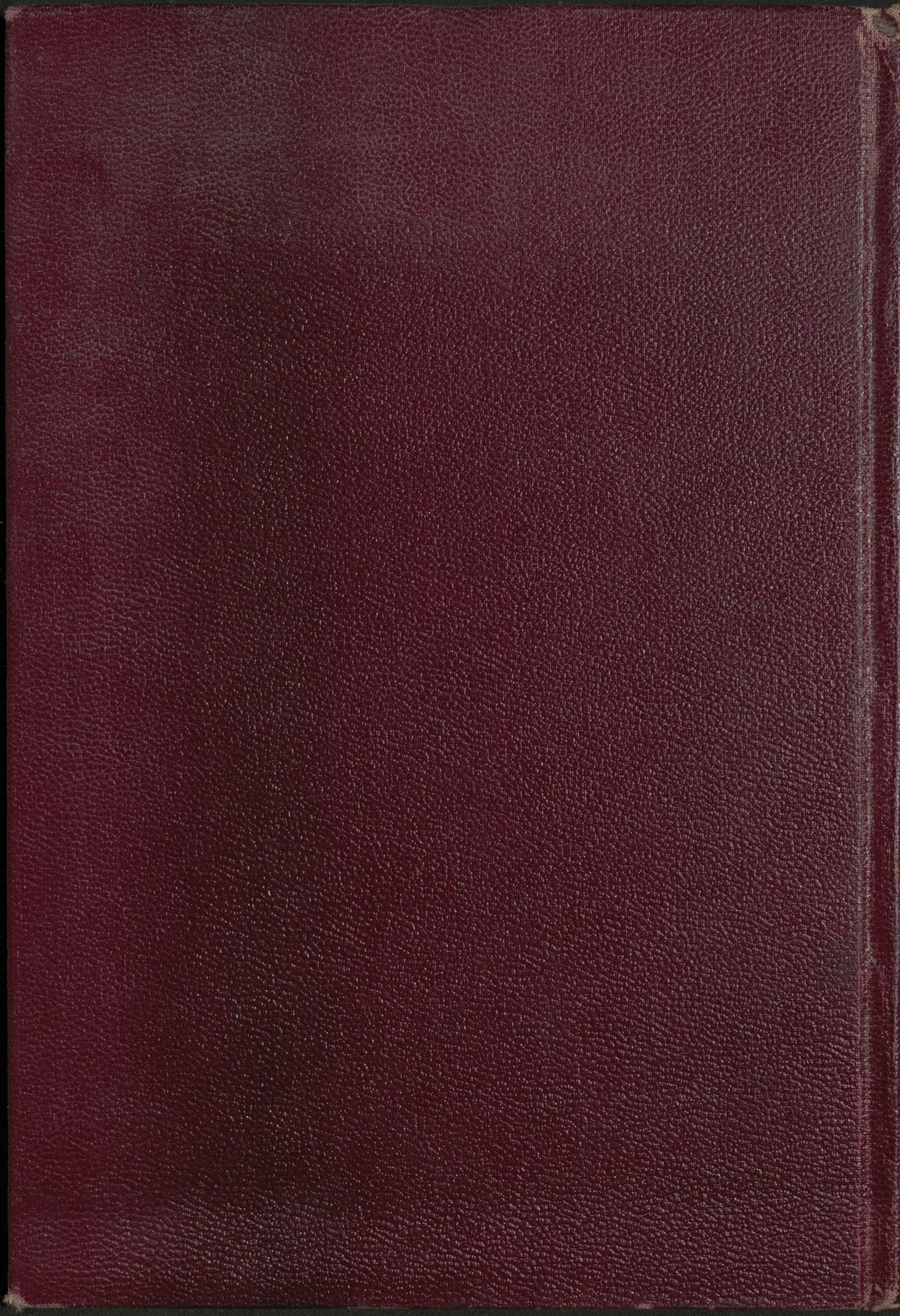
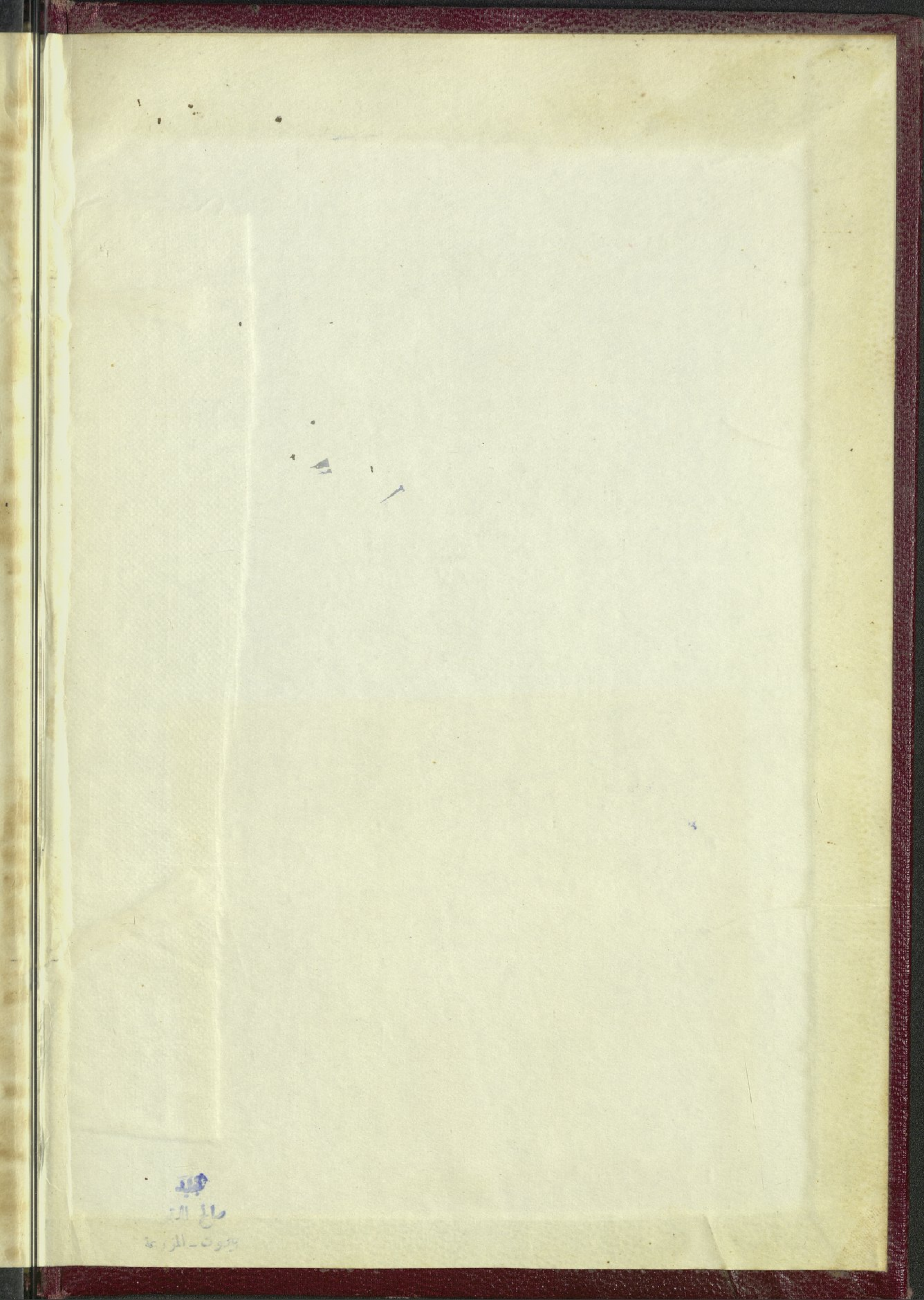
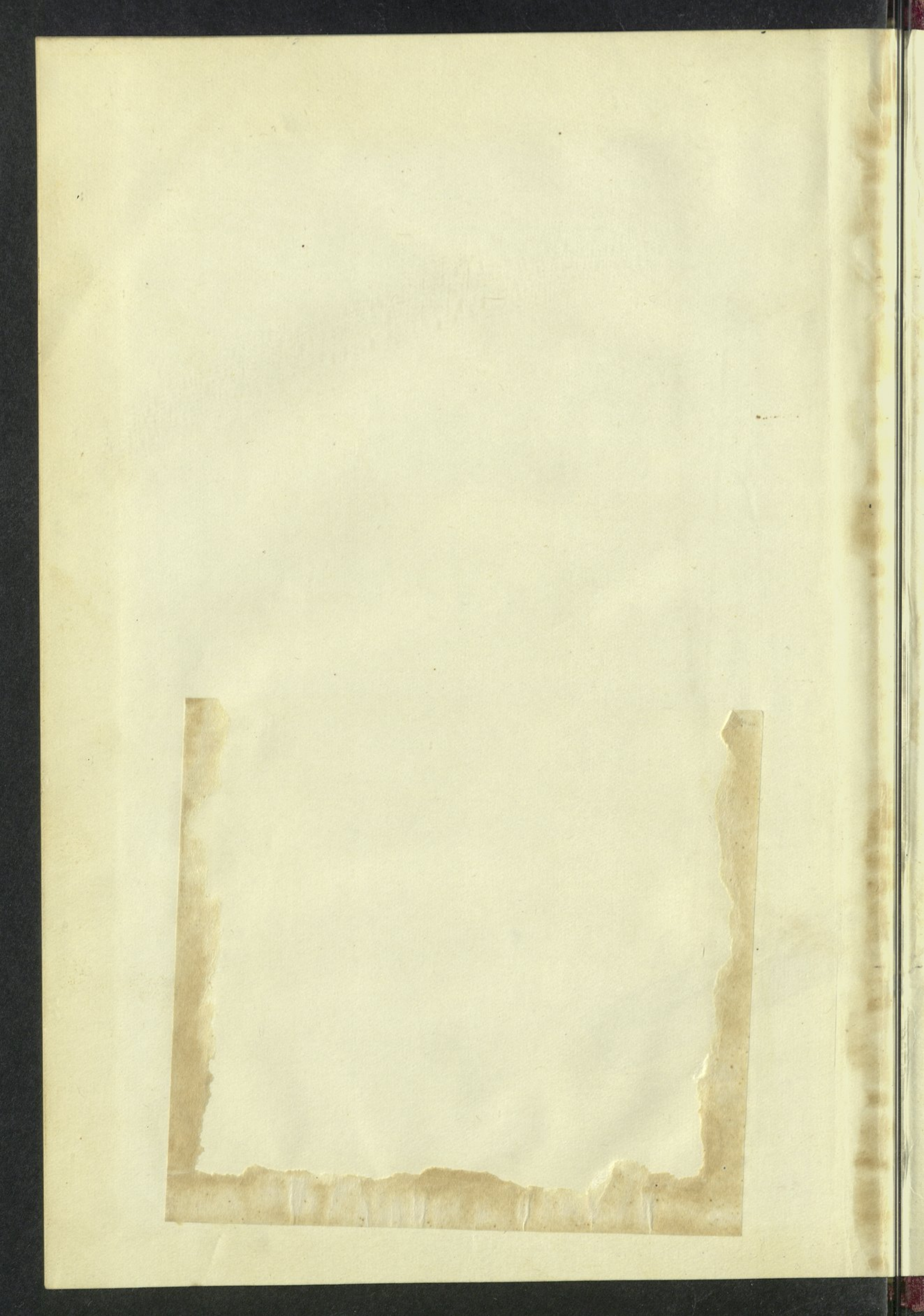
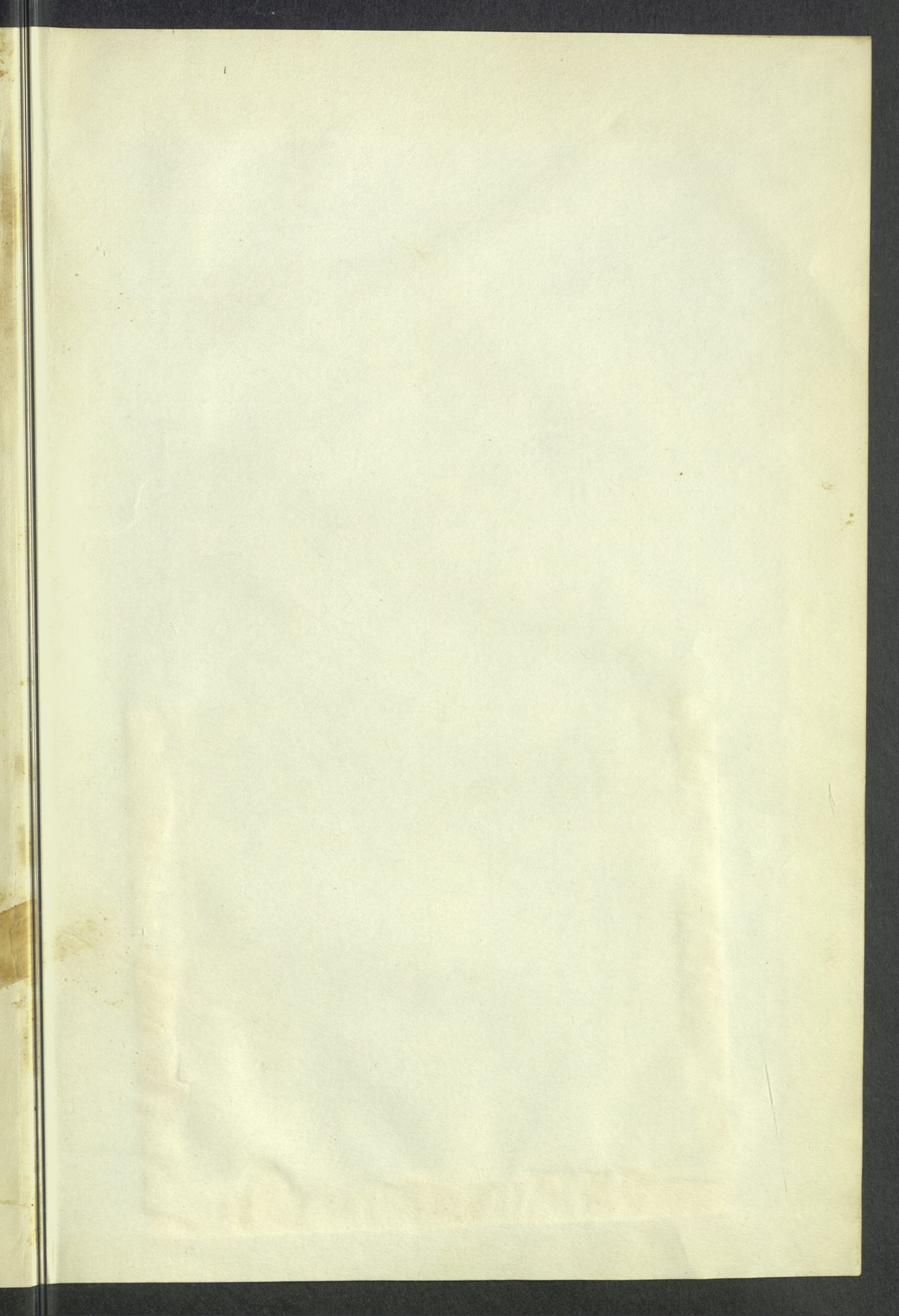
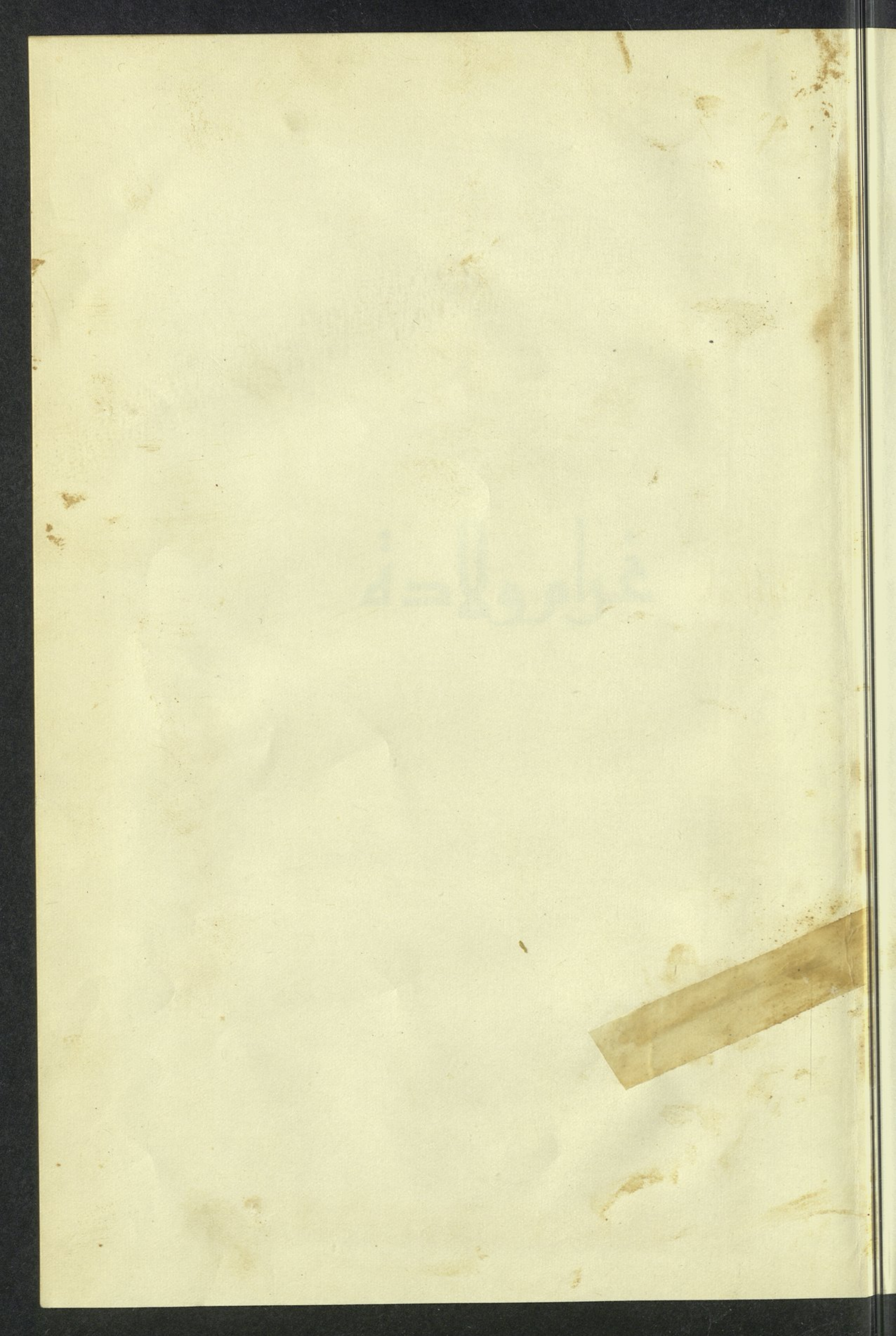
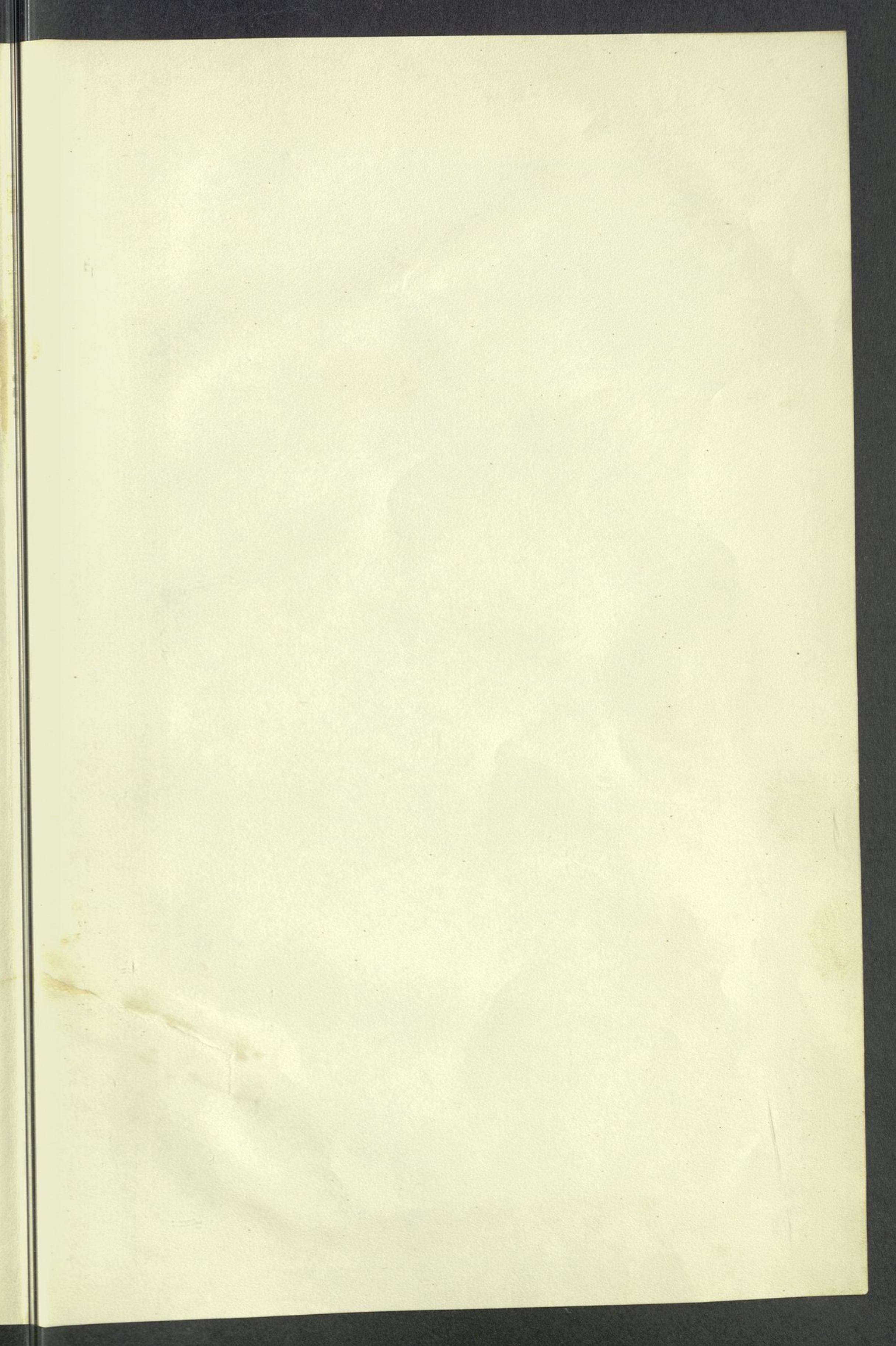




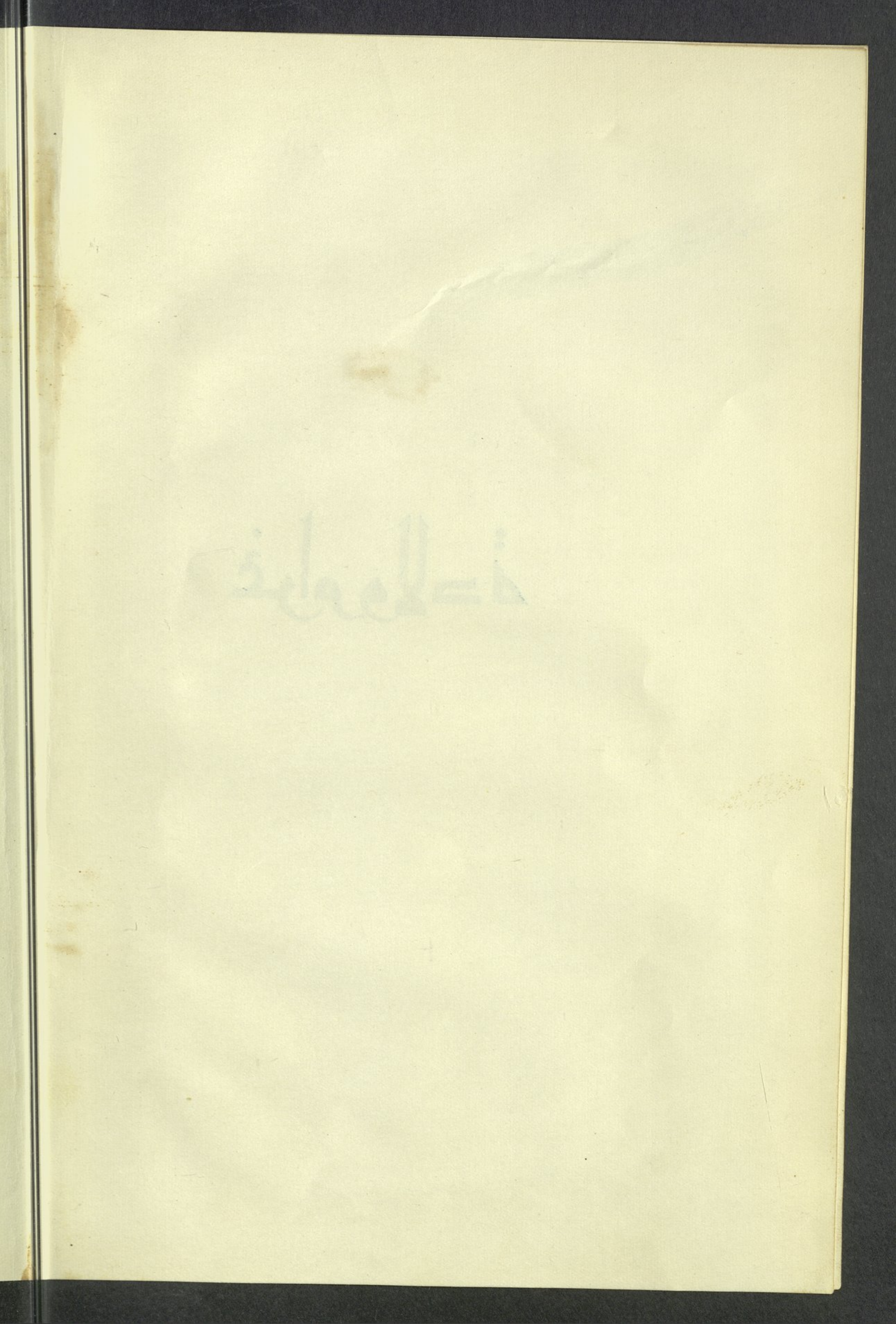








غرام ولادة

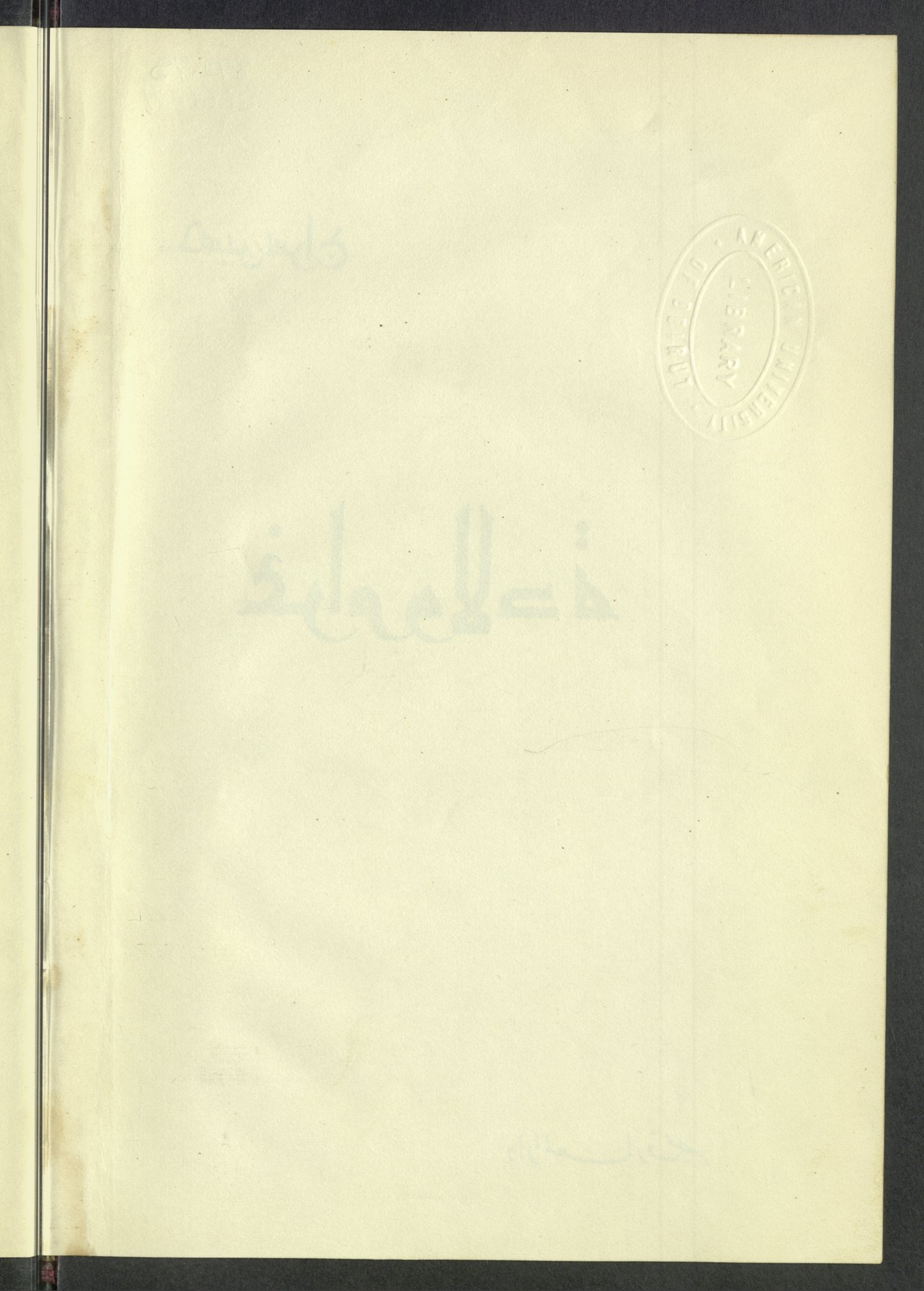




حسين سراج

غرام ولادة

دار المعارف بمصر



الإهداء

إلى صديقي الشيخ محمّد سُرُور الصبّان .

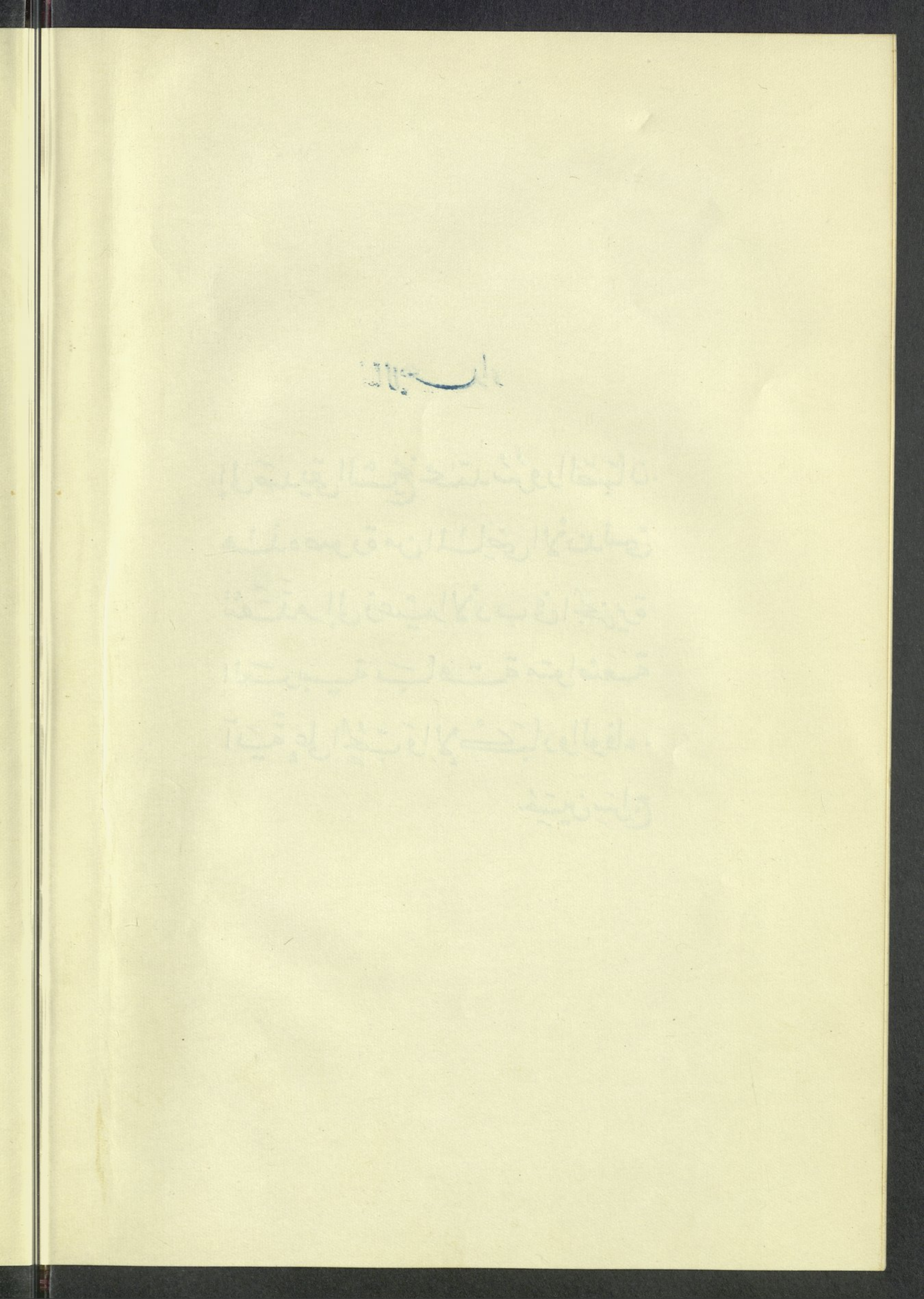
هذه صورة من الماضي الأندلسيّ

تتقدّم إلى زعيم الأدب في الجزيرة

العربية بباقة متواضعة

آيةً على الحُبّ والإكبار والوفاء .

حسين سِراج



تقديم المسرحية

بقلم

الأستاذ محمود تيمور

عميد القصة فى العالم العربى

أنت على موعد تستقبل فيه « حضرة صاحب السعادة حسين سراج باشا ، أحد رجالات العرب الحجازيين ، ووزيراً سابقاً من وزراء المملكة الأردنية الهاشمية » ، ولم تكن قد لقيته بعد ، ولا عرفت من شأنه إلا ذلك الجانب العام من شخصيته . . . فما ظنك بمن تستقبل ؟ وما الصورة التى تتمثل فى مخيلتك أول وهلة لصاحب هذا الاسم واللقب والمنصب ؟ وماذا أنت صانع من الأهبة للقائه ؟

لا شك فى أنك تجمع ما انتشر من فضول ثيابك ، وتُغِيض ما عسى أن يكون فى وجهك من تطلق ومراح ، لكى تصطنع من صبغة الوقار ما يليق باستقبال شيخ مَهيب ، له عينان سابحتان فى ذكريات السنين ، ولحية مسترسلة نَسَجَتْها التجارب والأحداث ، وقد انحنت يده على عصاه يتوكأ عليها فى خَطْوِه الوئيد .

كذلك تمثلت لى صورة السيد الحجازىّ الجليل ، يوم تفضل علىّ صديقى الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، فأراد مشكوراً أن يكون وسيطاً بينى و بينه فى التعارف ؛ ولـكن الصديق حين أفضى إلىّ بطرف من شأن الزائر الـكريم ، راعنى أنه مشغوف بالتمثيـل ، وأنه يكتب المسرحيات ، وأنه أديب شاعر فنان .

وقلت لنفسى : لا يُسْتغرب الأدب والشعر من الوزير العربى الأصيل ، فى ذلك البلد العربى العريق . . . بَيْدَ أن المسرح والتمثيل هو الغريب الطريف الذى يسترعى النظر . فهذا المسرح طارئ على الشرق الحديث ، ولا سيما فى تلك الأصقاع العربية التى تغلب عليها نزعة المحافظة ، وتأبى إلا أناة فى قبول العصرىّ من ضروب الفنون وأوضاع الحضارة . فما لوزيرنا العربى والمسرح ، يُشْغَف به ، ويَكْتب له ؟

وفى الموعد المضروب للقاء ، سُعِدْتُ باستقبال شاب مكتمل الشباب ، أنيس الجليس ، تتوهج الألمعية فى عينيه ، ويسطَع الأمل فى مُحَيَّاه ، وتتجلى فى حديثه رقة الشمائل ، وفورة العاطفة ، ودعة النفس ، وسعة الأفق . . . وكدت أسأله حين صافحتُه بادئ بدء : « أين حضرة صاحب السعادة حسين سراج باشا ، وزير المملكة الأردنية الهاشمية ؟ » ، ولـكن الله سلَّم ، فقد علمت فى سرعة ، على يقين ، أنه هو عينه ، وأنى كنت واهماً فيما تخيلت وتمثلت ، حين قدَّرت أنى مُلاقٍ شيخاً من شيوخ العهد الماضى والأمس البعيد .

أمَّا جليسى هذا فإن له شخصية فنان ، ما فى ذلك ريب . وإن جذوة الفن لتعتمل بين جوانحه ، فيبدو وهجها على سيمائه ، ويظهر أثرها فى شأنه أجمع . . . ولا عجب إذن فيما انتهى إلىّ من أن « حسين سراج باشا » أُغرم بالمسرح فى رَيِّق شبابه ، وأنه مَثَّل يوماً شخصية « قيس بن الملوّح » — مجنون « ليلى » — ومَن أولى بتمثيل هذه الشخصية مِنْ صاحب ذلك القَوام المَشِيق ، والطلعة العربية الرائقة السُّمرة ، والنزعة العاطفية الشفافة ، والروح الشاعرىّ الرفَّاف .

وانفضَّ — على شوق — مجلسى مع الزائر المتفضِّل ، ولكن كرمه العربىّ شاء أن يترك لى نفحة من نفحات شخصيته ، وقبسة من قبسات شاعريته . فاستأنفتُ جلوسى إليها ، أُواصل معها تلك المتعة بلقائه ، والأنس بحديثه .

وكانت القبسة « السِّراجيَّة » الوضَّاءة : مسرحية شعرية مستوحاة من التاريخ ، موضوعها : غرام « وَلاَّدة » تلك الأميرة التى تمثل لنا صورة من الحبّ شرقية الطابع عربية السِّمات .

وموضوع هذه المسرحية تطلعت إليه من قبل أقلام الأدباء من الناثرين والشعراء ، فاستلهموه ، واتخذوه مجالا لانطلاق القرائح ، وانفساح الأخيلة . ولكنى أحسبه فى المسرحية السراجية أحفل بالعاطفة ، وأوفى حظًّا من رقة الترنيم . فالجو كله حب وهيام ، والمناجَيَات تهز المشاعر ، وتثير فيها تياراً من الشجو والحنين ، والمسرحية بهذه المزايا — من عذوبة

التعبير واستفاضة « الرومانسيَّة » ، وحيوية الأسلوب الغنائى — صالحة لأن تتجلى على المسرح بين « المُلَحَّنَات » التى يعرفها فن التمثيل باسم « الأوبرات » ، أو بين « الغِنَائيّات » المعروفة باسم « الأوبريتات » ، فإن فيها ذلك العبق الذى يجب أن يفعم جو المسرح الغنائى ، وإن الموسيقى لواجدة كل الطواعية فى هذا الشعر الرقيق .

ومما يرفع من شأن تلك المسرحية أن العاطفة فيها ليست سطحية ، ففيها استجابات عميقة للحياة ، وفيها استِبْطان للنزعة الإنسانية فى الحب ، وهذه العاطفة تستمد قوتها من غرض رفيع وهدف بعيد ، فإن الطموح إلى المجد ، والمطالبة بالثأر ، يعملان عملهما فى توجيه تلك العاطفة ، ويسيران بها إلى الغايات السامية . وذلك يذكرنى بما عالجه « كورنى » فى مسرحية « السيد » حين جعل الحب يسطع سطوعه بسمو الأهداف التى انطوت عليها قلوب المحبين .

والمؤلف يصور لنا — فى فطنة وبصارة — مِنْ خلجات النفس ، ومن كوامن شعورها ، ما يرفع النقاب عن الدوافع التى تستتر وراء الظواهر من عاطفة المرأة ، فهو يظهرنا على « وَلاّدة » شاكية باكية ، لا كما يبدو أنها تذوب ذوبان الشمعة الموقدة فى محراب الحب والهيام ، ولكنها تبكى على نفسها ، وتثور لكرامتها ، فتقول :

ما ضَرّنى حبّه أو بُغضه أبداً   بل ضَرّنى أن حبّى باتَ يُشْقينى
لَئِن أَسِفت على شىء فليسَ على   حبّى ولكن على غشّ « ابن زيدونِ »

لو كانَ حيًّا أبى ما نالَنى تعبٌ ولا جَفانى « ابن زيدونٍ » على هُونِ

وهى تؤكد هذا المعنى ، أو تكشف عن هذه السريرة ، حين تقول :

نحن النّســاء متى ثُرنا لعزّتنا نُلقِى بِمَن يَعتدى بَطنَ الأخاديدِ
فإن أردْنا انتقــاماً يا لَنِقمْتَنِا وإن وَعَدنا فيـا حُسْنَ المواعيدِ

وأخيراً يتضح الأمر . حين نرى « وَلاّدة » تعنى بتخليص حبيبها من السجن ، لكى تستعينه فى استعادة مجدها الغارب ، حتى يزين جبينها التاج السليب .

والشاعر يبلغ ذروة الجودة فى المواقف التى يقوم فيها « ابن زيدون » مقام الإنشاد ، وكأنه يحضره شيطان شعره ، فيبعث فيه روعة القصيد . وهذا فن من الاستجابة وصدق الاستيحاء جدير بأكرم التقدير . والحق أن القصيدة النونية التى مطلعها : « أمست ليالى الهنا حلماً تناجينا » — وهى التى يعارض بها المؤلف نونية « ابن زيدون » المشهورة — تكاد أبياتها توهم القارئ أنها تكملة للأصل كانت خافية على الناس . وكذلك القصيدة الهائية التى مطلعها : « يا نائحا وسواد الليل يخفيه » تجرى فى سمو الشاعرية مجرى شاعر الأندلس الصَّداح .

ومما حَلِيَتْ به هذه المسرحية فى نسقها الشعرى أن الأوزان تتباين فيها تبايناً تقتضيه الملابسات التى تتألف منها المشاهد ، ومن أمثلة ذلك نداء « ابن زيدون » لِلَّيل ، وشَجْو « سليمى » الذى مطلعه : « لست أدرى » وشَدْو الراقص الذى مطلعه : « فى ضياء القمر » ... ففى هذه الأوزان تفنن يزيدها قوة أداء ، ورقة عَرْض . وفى هذا

التفنن ما يعين على التغنىّ بالمقاطع الشعرية فى يسر . . . أضف إلى ذلك أن اختلاف الأوزان ، وتنوّع المقاطع — فى هذه المسرحية — يلائم بينها و بين عصرها الأندلسىّ ، عصر « الموشَّحات » وما إليها من ألوان التجديد فى أوزان الشعر وأوضاعه .

ولستُ بقاصد فى هذه العجالة أن أقف من المسرحية السراجية موقف الناقد الفنى من الوجهة التمثيلية ، أو الناقد الأدبىّ من الوجهة اللغوية أو العروضية أو غيرها من الوجهات . فقد أمتعَتْنى حقًّا هذه الصحائف بما فيها من وجدانية عذبة المشرب ، ومن شاعرية حريرية النسج فكانت نظرتى إليها نظرة الرضا والإعجاب فى صدق و إخلاص ؟

٢٣ يونيه سنة ١٩٥٢ محمود تيمور

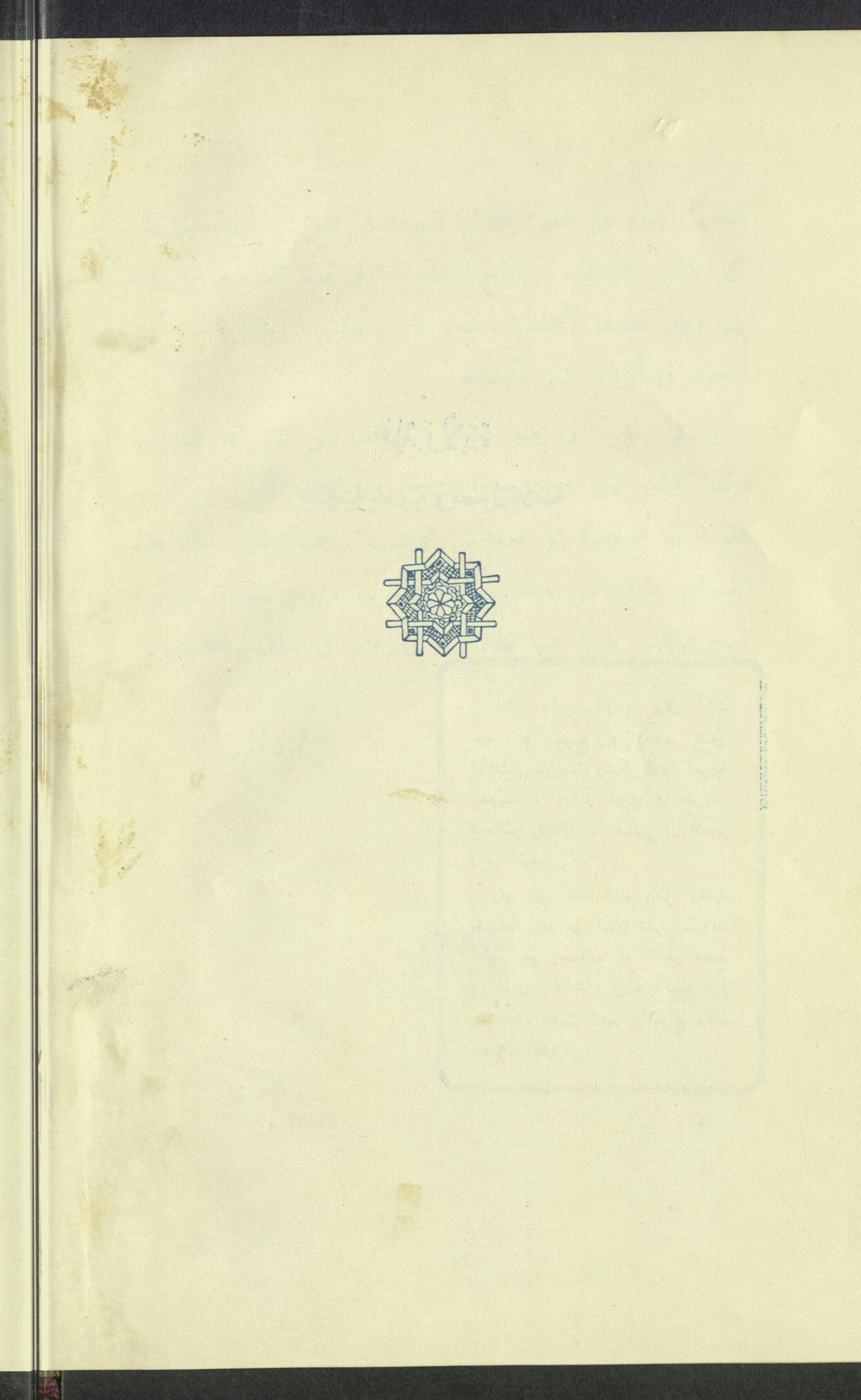


غرام ولادة

مسرحية شعرية في فصول ثلاثة

عاش «ابن زيدون» يرتل آيات حبه على مسمع «وَلَّادة» فتتغنى الأندلس بغرامهما وتسكر الدنيا العربية بحديثهما ، ولكنه يغوص فى بحر من الدسائس والوشاية ، فينتهى إلى السجن ويجر القيد .

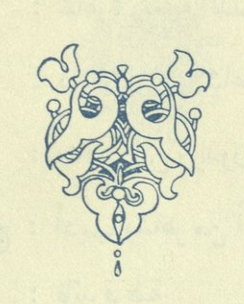
وهو على ظلمة القبو وثقل الحديد ما يفتأ يردد على قيثارة شعره ابتهالات الحب حتى استجاب له القدر فجمع بين قلبين وخلد شاعرين ، فأصبح غرام «وَلَّادة» حديث الشعر والمسرح وكان منه هذه التمثيلية .



أشخاص المسرحية

ولّادة	:	بنت الخليفة الأموى المستكفى بالله
سليمى	:	مغنية تنافس ولّادة على حب ابن زيدون
ليلى	:	وصيفة ولّادة
منى	:	شاعرة ومغنية أندلسية
ابن زيدون	:	ذو الوزارتين الشاعر المعروف
ابن عبدوس	:	منافس ابن زيدون على حبّ ولّادة
أبو الحسين أحمد بن سراج	:	أديب وشاعر من أعيان قرطبة
مالك بن سليمان	:	قائد قرطبة
صبح	:	كاتب ولّادة الخاص
مسك	:	ناظر أملاكها
الخطيب بن جهور	:	ابن قاضى الجماعة فى قرطبة
رباح	:	حاجب ولّادة
ورد، سعد، بشر	}	من روّاد ندوة ولّادة

راقصون وراقصات من بلنسية ، حرس ابن جهور



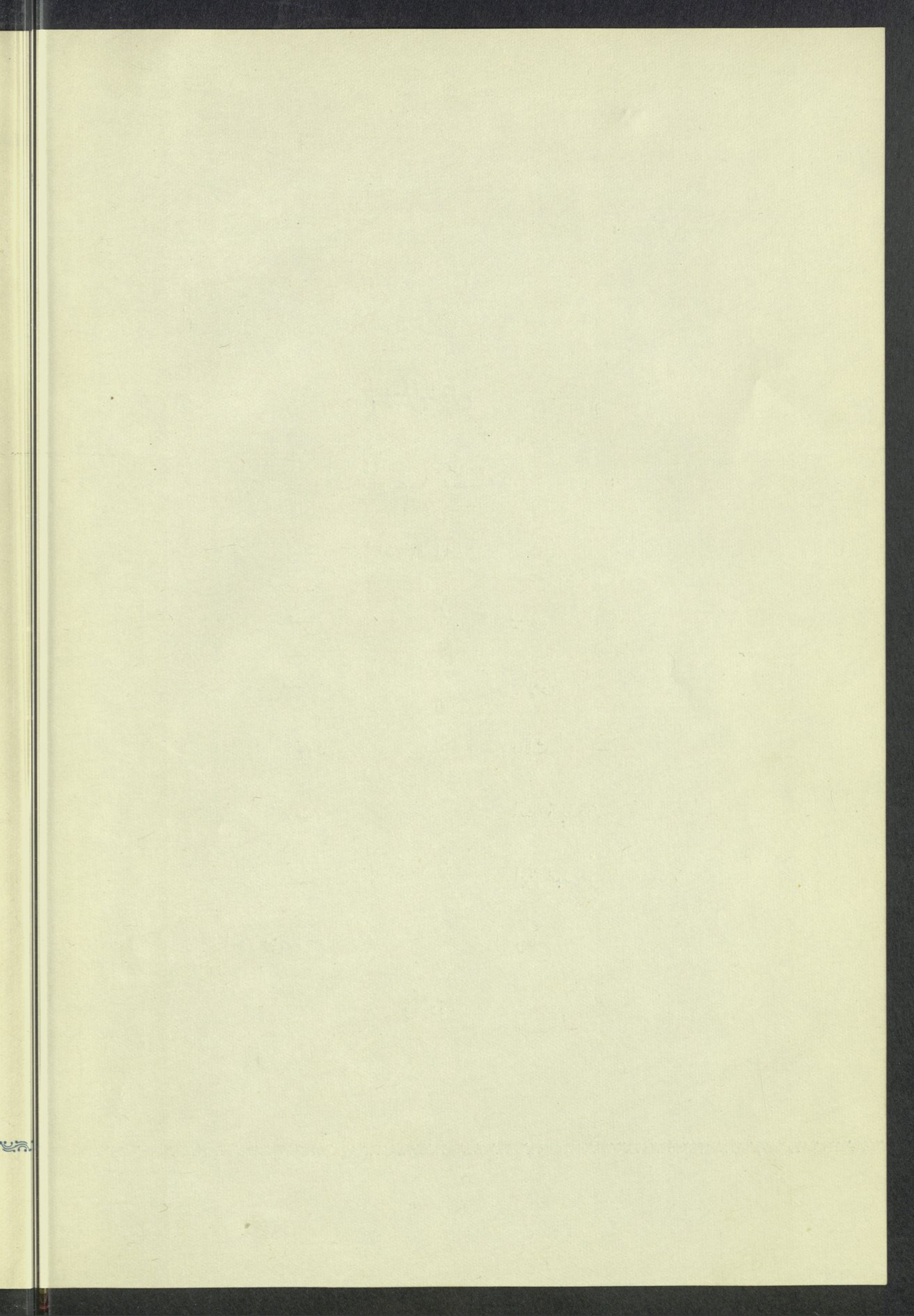
الفصل الأوّل

وفيه أربعة مشاهد

أشخاصه

صبح	ليلى
مسك	سليمى
ورد	مالك
سعد	ابن زيدون
بشر	ابن عبدوس
أحمد بن سراج	رباح

ولّادة



المِشهَدُ الأول

المكان :

بهو عظيم فخم ، هو جانب من قصر الأميرة « وَلاَّدة » . وفيه إلى اليسار وقف « صُبْحُ » كاتب الأميرة ومعه « مِسْكُ » ناظر أملاكها يستقبلان جمهرة من الزوار قصدوا القصر للسمر عند الأميرة .

الزمان :

بعد العِشاء ، وقد أنيرت جوانب القصر بمصابيح أندلسية .

صبح : بَعَثَتْ بالأمسِ

مسك : ماذا فعلَتْ ؟

صبح : أرسلَتْ تدعو « سُلَيمى » الشاعره

إنَّ «وَلَّادَة» يا « مِسْكُ » غَدَتْ

دميةً فى كفِّ تِلك العاهره

تَنْضَحُ الشَّهوةُ مِنْ أَعْيُنِها

وفنون الفِسْقِ فيها سافره

هى يا « مِسْكُ » مجونٌ وفُتون

هيَ « يا مِسْك » فتاة سادِره

مسك (محتجاً) : والذى « يا صُبْحُ » نَفْسى فى يَدَيْه

ما « سُلَيمى » بالفتاة الفَاجِره

صبح : أنتَ لا تعرفُها

مسك : كيف لا أعرفها ! !

إن أهلى أهلُها

إنَّ قومى قومُها

صبح : عجباً تذودُ وأنتَ تعلمُ أنّها

كالحيّةِ الرّقطاء يُخشى بأسُها

الخبثُ ديدَنُها ، وبئس بضاعةً ،

واللؤمُ يَنطق مُفْصِحاً فى وجهها

مسك : ما بك الآن ؟ ما دعاكَ لهذا ؟

أىّ مَسٍّ أراكَ فِيهِ تَلَوّى

كِلتَ للكاعب السِّبَابَ جزافاً

وهى يا « صبحُ » أرفعُ الناس شأوا

(يعبر ورد وسعد وبشر أمام الحاضرين فى طريقهم إلى ندوة الأميرة)

ورد : سلامٌ عليكم

صبح : جئتمُ ؟ مرحباً بكم !

سعد : أسامرُنا حَفْلٌ ؟

صبح : أجل ! إِنّهُ حَشْدُ

بشر : أَبَيْنَهُمُ رَبُّ القوافى وبَحْرُهَا ؟

صبح : أتعنى « ابن زيدونٍ » ؟

بشر : أجـــل !

صبح : لم يجئ بعدُ

(يدخلون الندوة)

صبح : أتدرى ؟

مسك : وما أدرى !

صبح : « سُليمى » وَلُوعَـــةٌ

مسك (بتهكم) : بِمَنْ يا تُرى ؟ قل لى ! لعلك تَهْرِفُ !

صبح : أَقُولُ « سُليمى » بابن زيدونَ تُيِّمَتْ

بَرَاها الهوى، هل كنت يا «مِسْكُ» تعرِفُ؟

وأَضْحَى حَدِيثاً فى المجالس حُبُّهـــا

فهـــذا يُحابيه وهٰذاك ينصفُ

وأعْجبُ منْ ذا أن يكونَ حَبِيبُهَا

بَخِيلًا و « سَلْمَى » فِى التَّوَدُّدِ تُسْرِفُ

مسك (متأثراً) : أنا لا أصدِّقُ ما تقولُ ؛ لِأَنَّها

نَبَتَتْ على كَرَمِ النِّجارِ شَرِيفهْ

هى لِلْفَضِيلَةِ وَالْكَرَامَةِ مَنْبَعٌ

هى سَمْحَةٌ هى حُرَّةٌ وعَفِيفَهْ

(يدخل أبو الحسين أحمد بن سراج فى طريقه إلى الندوة)

أبو الحسين : أهنا السُّمَّارُ يَا « صُبْحُ » ؟

صبح : هُنَا

أبو الحسين : « أمُنى » مِنْهُمْ ؟

صبح : أجلْ ! مِنْهُم « مُنَى »

(يذهب)

صبح : هوَ يا « مسكُ » مُحِبٌّ مُدْنَف

مسك : هُوَ مِثْلى نِعْمَ مايرِبطُنَا

صبح : أراكِ فى حبها يا « مسكُ » منغمساً

ومن تحبُّ أجِبْ تُحبِبْكَ أم كذبُ ؟

أمِنْ دليلٍ يُزيل اللَّبْسَ عن حُجَجِى

أم أنت يا صاحِ للأوهامِ تَنْجذبُ

أأنت يا « مسكُ » نِدٌّ محتِداً وحِجًى

كلاّ ، فما بينكم قُرْبٌ ولا نسبُ !

هى الثريا ونحنُ الناسُ نعشقُها

وليس ما بيْننا وصلٌ ولا سَبَبُ

مسك (لنفسه غير مكترث بصبح) :

قالوا براكَ الهوى من لوعةِ الهجر

وكَثْرةِ النّوحِ آنَ الليلِ والفَجْرِ

واهتاجَك الشوقُ لا دمع يكُفُّ ولا

وجْدٌ يَخِفُّ ولا عوْنٌ من الصَّبْرِ

ونام غَـــيْرُكَ مرتاحاً ونِمْتَ على

نارٍ من السُّقم أذكى من لَظَى الجَمْرِ

ما بين آهٍ وأوّاهٍ وليتَ وهـــل

« لا تَستقِر على حالٍ » من الفِكْر

فليتَ من تبتَغى تَحْنُو عليكَ ولو

بنظرةٍ تبعثُ الآمالَ فى الصَّدْرِ

صبح (مقاطعاً) : لكنّ « سلماك » لا تهواكَ فامضِ فما

يُجدى البكاء ولا يُغنى عن الهجْرِ

مسك : يا «صبحُ» خلّ سبيلى لستُ مستمعاً

لما تقولُ فدعنى والهوى العُذْرِى

أنا المحبُّ المعنَّى فى مَحَبتهم

أنا المتيّمُ ما أنفكُّ مِنْ أسْرِى

وأنتَ يا عاذلى هوّن عليكَ فلو

عرفتَ حبّى لما أنقصتَ مِن عُذرى

الحبّ لولا الشَّقا ما ساغَ مَشْرَبُه

ولا ترنّمَ قيسُ الشِّعرِ بالشّعْر

الحبُّ سهلُ التردّى فى مَسالكه

أمّا التّخلُّصُ فهو الموتُ لو تدْرِى

(يسمعان غناء)

ليلى (تغنى) : أقبلَ الليّلُ فهيّا

نُشبِعِ اللّذةَ غيّا

ونُغنّى والهوى يحـ

لو غناءً وحُمَيَّا

هاتِ من ثغرك راحًا

واسقنى الكأسَ الهنيَّهْ

إنّ فيها العُمر والبشـ

ـرَ وَأيّامى الرَّضـيَّهْ

إن فيها يا حبيبَ الرو

حِ أنفاسًا ذَكيَّهْ

إنَّ فيها مِن ذَما قلـ

ـبى ومن أهوى البقيَّهْ

صبح (جذلا) : إنّها « ليلى » تغنّى

نغمة النـاىِ الأغنِّ

فإذا جوُّك صافٍ

نعمَ ساعات التغنِّى

(تدخل ليلى)

أهلًا بليلى

مسك : أهلاً وسهلاً

صبح : صوتُكِ حلوٌ

مسك : رَجعه أَحلى

المِشهَدُ الثّانى

ليـلى : أعِندكما للسرِّ أَمنٌ وموضعُ ؟

صبح ومسك : نعم ! أَفصحى ، إنّا لسرِّكِ أَمنعُ

ليـلى : رأيت «سُليمى» وابن «عَبْدُوسَ» خِلْسةً

وبينهما للـكأسِ مغنًى ومرتعُ

ولما استطالَ الشربُ وانقشعَ الحيا

وأمست كؤُوس الراح بِالخزىِ تُجْرَعُ

ودارتْ على ثوبِ العفافِ معاركٌ

فلم يبقَ فيـه للفضيلةِ مَوْضِـعُ

تجلّى كَنِين السرّ يا هَوْلَ سرّهم

بِهِ الشرّ يَدوى والفجيعة تَقرعُ

صبح (متحمساً) : وما هوَ؟ قولى ، لا تخَـافِى ملامةً

يدانا وقلبانا سـلاحٌ ومفْزَعُ

ليلى : مؤامرة بين الخليعين دُبِّرَتْ

لسيدتى « وَلَّادَةَ » الليلَ تشرعُ

تروم « سُليمى » أن تَنِمَّ بكِذبةٍ

لعلَّ بها قلبَ « ابن زيدون» يَقْنَعُ

تقول له إنَّ «ابن عبدوسَ» عاشِقٌ

وسيّدتى بالعاشقِ الفـذِّ تَطْمَعُ

تُساقيه خمر الُحبّ من مَبسِمِ المنى

وفى صدرها الوثّاب إنْ شاءَ مَضْجَعُ

وأما «ابن عبدوسٍ» فيذهبُ قائلا

لسيدتى إنَّ « ابن زيدون » مُولَعُ

وإنّ هواه بنت «ذى النُّونِ »[1] ذائعُ

تَحدَّثُ عنه الناسُ طُرًّا وأَجْمَعُوا

مسك : سأقتلها إن صحَّ ما قلتِ حالُها

لعلَّ الدمَ المُهْراقَ يَغسِلُ ذَنْبها

١ – أحد ملوك الطوائف فى الأندلس وصاحب طليطلة .

وأَخْلَصُ مِمَّنْ خانتِ العهد يافعاً

وأبرئ قلباً يحمل اليوم حُبَّها

ليلى : أرى لِيَ رأياً غير رأيك فاستمع

دع الخزيَ والأَدرانَ تأكلْ قلبها

وقُم نُبْلِغِ الأخبارَ يا «صُبح» قبلما

تُصَدِّقُ موْلاتى العَشِيَّةَ كِذبها

مسك : دَعُونى

صبح : دعى يا ليلُ مِسكاً وهمَّهُ

فإنّ له فيه مشاغلَ لا تُحْصَى

(يذهبان ويبقى مسك وحده)

مسك : يقولُ الوشاةُ ويا وَيْحَهُمْ

«سُليمى» بغيرى غَدَتْ مُولَعَه

لئن صحَّ ما قيلَ عن غَدْرِها

فَحُبّى لعمرى إذَنْ مَضْيَعَهْ

ولكنْ أشُكّ بأقوالهم

فكأسُ هوانا بنِا مُتْرَعَهْ

سَيَبقى فؤادى على عَهـدِها

وفيًّا لِحُبٍّ رأى مَصْرَعَهْ

(تدخل سليمى)

« سُلَيْمى » !

سليمى : أجل يا «مسكُ» !

مسك : ربَّاهُ فُرْصَةً

تَلُوحُ وكم قلبى إلى مِثلها يَصْبُو

إلى أين يا من يَعْشَقُ الكونُ طَرْفَها

إلى أينَ يا مَنْ يَبتغى وصلَها القلْبُ؟

أتَنْسَيْن إذْ كُنَّا رفيقين فى الصّبا

وَجارَيْنِ فى دارٍ يُسَرْبِلُها الحبُّ

أراكِ نسيتِ العَهْدَ ،

سليمى (مندهشة) : ما العهـــدُ ؟ مَا الهـــوى ؟

وأىّ كلامٍ رحتَ يا «مسكُ» تهرفُ ؟

مسك (متأثراً) : لقد كنتِ قبل اليوم كعبةَ قِبلَتِى

وكنتِ هواىَ البِكرَ والعيشُ أَغْيفُ

سكرتُ بخمر الحبِّ فى مَيْعَةِ الصِّبا

ورحتُ به نشوانَ أَلهو وأَرشُفُ

أُرَدِّدُ فى الآصالِ نُعمى وِصَـالِهِ

وفى هدأَةِ الأسحار أدعُو وأَهْتِفُ

وكنتَ بها يا قلبُ جِدَّ مُتَيَّمٍ

وكنتَ بها حتى السُّويعةَ تَحْلِفُ

أجلْ خابَ ظَنِّى يا رفيقة صَبْوَتى

فيابينُ رفقاً بالذى بِتَّ تَعْصِفُ

(يخرج وهو باك)

سليمى (شبه نادمة) : وَيــــلاه ما أَقسانى ربَّاهُ ما أَنســانى

يَا وَيْحَ من أَغْـــرانى

(يدخل مالك بن سليمان قائد قرطبة فى طريقه إلى الندوة)

مالك : أ « مالكٌ » و « سُلَيْمَى » ! !

سليمى (لنفسها) : قَلَّما اجتَمعا ! !

مالك : أَراكِ وَحْدَكِ تَختالينَ فى مَهَلِ

أأنتِ قاصدةٌ للسّامرِ الفَخِمِ

أمَّ أنتِ فى موعدٍ مِنْ نُخْبةٍ مُثُلِ

سليمى : نَعَمْ ، صَدقتَ . فإنّى بانتظارِهُمُ

مالك : يا ليتَ أنّىَ منهُمْ ،

سليمى (بغضب) : كُفَّ عَن غزَلِى

مالك : أليْسَ يُرْضِيكِ عَنهم فارسٌ بطلٌ

أليْسَ قلبُكِ مَشْغولاً بذا البَطلِ

كلاَّ ، فمثلىَ لا تُرضيكِ صُحبَتُهمْ

سليمى : أرجوكَ يا سيّدِى إنّى على عَجَلِ

(تذهب من طريق وهو من طريق آخر ثم عند ما يغيب ترجع إلى مكانها ساخرة عابثة)

سليمى : لَمْ يَبْقَ إِلّا هوى كهلٍ كمثل أَبى

يا بِئْسَ حَظّى أرى الأيام تعْبَسُ لِى

أَأُنفِقُ العُمرَ فى لهوٍ وفى نزقٍ

أَأُنفِقُ العُمْرَ فى كيدٍ وفى خَطَلِ

أَلِلْبُكاجِئْتُ فى هَذا الوُجُودِ تُرى!

أَلِلشَّقَا خُلِقَتْ نَفْسى ! أللزَّلَلِ !

أم إنّه ظِلٌّ أتْراحٍ يَمُرُّ عَلَى

عُمرى ، وبَعْدَئذٍ أغْفو على القُبَلِ !

(تتناسى كل شىء ولا تذكر إلا ابن زيدون فتقول :)

حَمَلَ الشَّوقَ إليكَ القلمُ

فإذا الأَسْطُرُ دَمْعٌ ودَمُ

وإذا الذِّكْرى وَقَدْ هاجَتْ مُنًى

اَلهَنا فيها وفِيها الأَلَمُ

والنَّدامى حُفَّلٌ حَوْلى وقد

دارت الكأسُ وجالَ النَّغَمُ

وأنا أنتَ ومالى أمـــلٌ

أنتَ آمالى وأنت النِّعَمُ

ألِوَصْلٍ عند «وادى النَّرْجِسِ»

ولَيـالى الأُنسِ «بالمُقْتَبَسِ»

مِنْ شُعاعٍ يُرتَجى أو قَبسِ

«ما لِقَلْبى كُلَّما هبَّتْ صَبَا»

هزَّهُ الشَّوقُ لأَيَّامِ الصِّبا

وتَمنَّى العيشَ فى تِلك الرُّبى

هَكذا الدُّنيا وِصالٌ وجفاً

ونعيمٌ مُتْرَفٌ أو عَــدَمُ

(تسمع صوتاً وحركة)

أَسمعُ صوتاً إنَّهُ صَوْتُ حَبِيبى

ومُنى قلبى ورُوحِى وطبِيبى

(تتغير ملامحها و يبدو عليها شبح الإجرام)

أجَلْ حَانَ تنفيذُ الخَدِيعةِ إنّها

سَيَسْحَقُ يا «وَلَّادَةَ» القلبَ وقعُها

وسَوْفَ تَرَيْنى و«ابن زيدونَ» غُدْوَةً

حَبيبينِ فِى حالٍ تَمَنَّيْنَ حالَها

وسوف يراكِ الناسُ سوداءَ حِلْيَةً

مُلَطَّخَةً بالعارِ والخِزْىِ حِلْيُها

أتوارى الآن عنه لِأَرَى ما فيهِ مِنْهُ

(تتوارى فى الجهة المقابلة . يدخل ابن زيدون)

ابن زيدون (كما لو كان يخاطب وَلَّادَة) :

هِىَ كالفَجْرِ بَسْمَةً ورُواءً

وهْىَ كالزَّهرِ نُضْرَةً فى الخميلهْ

قد تَجَلَّى جمالُ « بَلْقيسَ » فيها

أينَ مِنْ حُسْنِها «اعتماد[1]» الجميلهْ

---

١ — هى زوج المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية وأشهر ملوك الطوائف فى الأندلس . كلف بزوجه هذه وأرسل فيها القصائد الغر الخالدة .

وهىَ كالْبانِ فى القَوامِ وفى الدَّلِّ

وسِحْرٌ بهِ القُلُوبُ قَتِيلَهْ

هِىَ فى مَبْسَمِ الزَّمانْ حديثٌ

ما رَوى الذّاكرونَ قَبلُ مثيلَهْ

فيهِ من عَالَمِ القُصور أحاسيسُ

وَنَعْمَاءُ مُورِقاتٌ ظَلِيلَهْ

فيهِ مِن سَامرِ المحبِّينَ عِطْرٌ

ورجاءٌ يُحيي النفوسَ العَليلَهْ

رقَّ كالنَّسْمةِ الصّبوحِ وكاللَّمحِ

تبدَّى مِن العيُونِ الكَحِيلَهْ

أتَدرى يا أخا البَدرِ أتدرى بالهوى العُذْرِى

وأشْواقِى إذا تَسرِى

على الزّهرِ ، على الصّخْرِ ، على الوادى ، على النَّهرِ

على النَّجمِ ، على البَحْرِ

تُسابِقُ زورقاً يجرِى كأَحْلامِ الهــوى البِكْرِ

وأيَّامِ الصِّبـا الغُرِّ

إلى النَّدمانِ والخمْــرِ وساقٍ فى سَنا البَدرِ

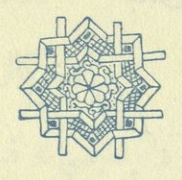
إلى القَيْنَاتِ فى القصرِ

وغيدٍ خُرَّدٍ زُهْــرِ ورمَّانٍ على الصَّــدرِ

وأنفـاسٍ من العِطْرِ

تَرِفُّ كنَسمةِ الفَجْرِ وحُلْمِ اللَّيـلةِ الدُّرِّى

هنا أمَلِى ، هنا عُمرِى !



المشهد الثالث

(تظهر سليمى)

ابن زيدون : (وقد رآها)

«سُليمى» (يبتسم)

سليمى : نَعَمْ،

ابن زيدون : قُولى، أَمِنْ أَيْنَ آتيهْ أَمِنْ عِندها ؟

سليمى : مِنْ عند سيِّدتى الكُبرى

ابن زيدون : وَهَلْ سامِرُو «ولاّدَةَ» اللَّيلَ عندها

تُطالِعُهمْ من بحرِها النَّثْرَ والشِّعْرا

وَكُلُّهمُ مِنْ عِلْيَةِ القوم مَحْتِداً

ومرتبةً عِلماً، إذا شئتِ، أو فِكْرا

فَمِنْ قادةٍ كالأُسْدِ فى حَوْمةِ الوَغى

ومن سيِّداتٍ كُنَّ أَنْجُمنا الزُّهْرا

سليمى : أَجَلْ هُوَ هذا، إنَّما الليل وَحْدَها

رأيتُ «ابن عَبدوسٍ» يعاقِرُها الخَمْرا

تطارِحُهُ حُلْوَ الحــديثِ تَحَبُّباً

وتَسْقِيهِ بَعْدَ الـكأسِ قُبْلَتَها الحَرَّى

ولِلْكأسِ بعدَ الـكأسِ مايُذهِبُ الحِجى

ويُطلِعُ سِرًّا منكَ أودعتَه الصَّدْرا

ابن زيدون : كذبتِ لعَمْرِى إنَّما هِىَ فِرْيَةٌ

تُريدينَ منها الطَّعنَ والفُحْشَ والفَجْرا

فَبِنتُ أميرِ المؤمنين « محمدٍ »

أجلُّ وأعلى عفةً ، شِئْتِ ، أو طُهْرا

فَهَيَّا اُغرُبِى عن وَجهِىَ الآنَ إنَّنى

أُقَبِّحُ من يُوشى ولا أَقْبَلُ العُذْرا

سليمى (غاضبة) : سَتَعرِفُ صِدقَ القولِ بعد فواتهِ

وتَعلمُ أنِّى ما أردتُ بها نُكْرا

(تخرج فى حالة جنونية)

ابن زيدون (مناجياً) :

أيُّهــا اللَّيــلُ أحقًّا سرُّ هذا الكونِ صدرُكْ ؟

أيُّها اللَّيلُ أَصِدْقاً سَلوةُ العُشَّاقِ ذِكْرُكْ ؟

أيها اللَّيلُ أَخُلْقاً حَمْأَةُ اللَّذاتِ وَكْرُكْ ؟

خبّرى ياليلُ هل بَدْرى هوَى ؟

وحبَا غَيْرِى من النَّاسِ الهوَى ؟

وارْتَضى لى الهجرَ مِنهُ والَجوَى

ورَمى قلبى نَهْبـاً لِلنَّوَى ؟

أيُّها اللّيلُ أَجِبْنى سرُّ « ولاَّدَةَ » سرُّكْ ؟

أيُّها اللَّيلُ أعِنِّى سِحْرُ « ولاَّدَةَ » سِحرُكْ

أيُّها اللَّيلُ أَرِحْنى وَلْيُنِرْ قلبىَ فجرُكْ

خَبّرى ياليلُ هل حظّى ثوى

وهناءُ العمرِ بالهمِّ انطوى ؟

أو تُرَى ما قيلَ كِذبٌ ولَوَى

وأباطيلُ رَواها مَنْ رَوَى

(يرى ابن عبدوس آتياً إليه من الجناح الخاص بوَلاَّدَة)

ابن زيدون : « ابنُ عبدوسٍ » هنا ! !

ابن عبدوس : أَنا مَنْ تدْعُو ، أَنا . . .

ابن زيدون (بتهكم): مِنْ أَيْنَ أَتيتَ لنا الآنا ورجعتَ اللَّيلةَ عَجْلانا

والسامرُ لمَّا يَنْتظمِ ودخولُ النَّدْوةِ ما حانا

أترى « ولاَّدةُ » غَضْبَى ؟

ابن عبدوس (متهكماً أيضاً) :

لمْ يحْوِ السامرُ إلاَّنا نَلْهو أو نلعبُ أَحْيانا

والطيرُ تُغَنِّى نجْوانا والزَّهرُ تَفَتَّحَ نَشْوانا

والحاجِبُ قبلاَ أوصتهُ أنْ يَصرِفَ عنَّا النَّدْمانا

« ولاَّدةُ » كانتْ جذْلَى

ابن زيدون (بألم): والآنَ ؟

ابن عبدوس : لمضجعها خفَّتْ أَطْيافُ النَّوم بها حفَّتْ

فارجِعْ « ولاَّدةُ » هيْمى

ابن زيدون (بغضب وتهكم) :

بالوَجْهِ الكالِح هَيْمانَهْ والشَّكلِ المفزِعِ ولْهانهْ !!

ابن عبدوس (بغضب) :

أَقْصِرْ منَ الكَلِمِ البذيءِ فلم يَعُدْ

لِلصَّبرِ فى قَوْسِ التَّحَمُّلِ مَنْزَع

فى مَنْطِقى، إنْ شِئتُ، مُرُّ إجَابةٍ

وإذا أَرَدْتُ فإنَّ سَيْفِى أَفْظَعُ

(يتئد)

إنِّى أمْرُؤٌ بما أسأتَ تَكَرُّماً

وأَغُضُّ لا جُبْناً لِأَنِّى أَرْفَعُ

هَبْنى قليلاً مِنْ حِجاك فإنما

فى إصْبَعِى للحُبِّ نُورٌ يَسْطَعُ

(يريه)

هذا الدَّليلُ أَلَيْسَ خاتَمها الّذِى

ضَنَّتْ بِهِ حتَّى عليكَ ؛ أَتَسْمَعُ

ابن زيدون(مقتنعا) : اهْنَأ بما قَدْ نِلْتَ ،

ابن عبدوس (ساخراً) : إنِّى شاكرٌ

والآن أذْهَبُ إنَّ سَعْدِى يَلْمَعُ

(يذهب تاركا ابن زيدون فى حالة يائسة)

* * *

ابن زيدون (لوحده مناجياً ومتألماً) :

أَمْسَتْ لَيالى الهنَا حُلْماً تُناجينا

وأَصْبَحَتْ ذِكْرَياتُ الحُبِّ تُشْقِينا

كُنَّا خَلِيلَيْنِ فى دُنْيا الغرَامِ وقَدْ

أضْفَتْ عَلينا من النُّعْمى أفانِينا

نُسْقَى حُميَّا الهوى فى الكأسِ مُتْرَعَةً

مَمْزُوجةً بحَنانٍ كانَ يُحْيِينا

وللصِّبا فى قَشيبِ البُرْدِ رَوْعَتُهُ

وللعيونِ نِداءٌ كادَ يغْرِينا

ورِقةٍ فى دَلالٍ زانَهُ خَفَرٌ

وعِفَّةٍ تَوَّجَتْ فخراً ليَالِينا

نُمسى ونُصْبِحُ والأَوتارُ صادحةٌ

ونحن فى نَشوةٍ حلّتَ مَجالِينا

ولِلْقِيانِ غنــاءٌ هزَّ سامرَنا

وللنَّدامى حُمَيَّــا من تَصافِينا

والسَّامرونَ بِذِكرَانا شَدَوْا طرَباً

والعاشقُون تَمَنَّوْا من أَمانِينا

وللنَّسَــائِمِ أنفاسٌ مُعَطَّرَةٌ

مِنْ نفحكِ الطيبُ كافوراً ونِسْرِينا

والماءُ ينسابُ والأشجارُ راقصةٌ

والطيرُ تَسْجُعُ والدُّنيــا تُهَنِّينا

يا ربَّةَ المجدِ أين العهدُ هل عبَثَتْ

به الأعادى وهل أُنسيتِ مَاضِينا

إنْ صحَّ ياقلبُ ماقدْ قيلَ فابكِ عَلَى

أيّامِكَ البيضِ وايأسْ مِن تَلاقِينا

(يخرج حزينا)

(يدخل ابن عبدوس ومعه سليمى)

ابن عبدوس : هنيئاً لنا بالنصر يا حُسْنَ ما فعلتِ !

سليمى : هنيئاً يا ابْن عبدوسَ بالمِثْلِ

ابن عبدوس : تَحمَّلتِ في هذا السبيلِ مَشقّةً

سليمى : ولكنّها هانتْ وقد فُزتُ بالفِعلِ

ابن عبدوس : رميتِ «ابنَ زيدونٍ» بسهمٍ أماتَهُ

وآخرَ أودى بالحبيبةِ لِلْقَتْلِ

سليمى (بألم) : أجل «يا ابنَ عبدوسٍ» أَصَبْتُ مُعَذِّبي

ابن عبدوس : نَدِمْتِ ؟

سليمى : ولكن ، لاتَ ساعةَ لِلقَوْلِ

ابن عبدوس : أرى الحزنَ يَعلو وجهَكِ الغضّ ما الّذى

أَصابَكِ ؟ قولى ،

سليمى : خَلِّ عنِّى أجل خَلِّ

ابن عبدوس (بسخرية) :

فَهِمتُ ! !

سليمى : لَقد غرّرتَ بى فامضِ لا تزِدْ

جَوًى لَوْعَتى ،

ابن عبدوس : إنِّى شَفَيْتُ بهــا غُلِّى

(يخرج ساخراً)

* * *

سليمى (تغنى بمرارة): لَسْتُ أدرى أين بَدْرى الآنَ يسرِى

لستُ أدرى ؟

أينَ صَحْبى أينَ حُبِّى أينَ قَلْبى

لستُ أدرى ؟

يا حَبيبى أَيْنَ أَمْسٌ مِنْ هَوانا ؟

أَيْنَ أيَّامٌ مَضَتْ سَكْرى لِقَانا ؟

غَشّنى الواشونَ وافتنُّوا افتنانا

يا حَبيبى أَيْنَ أَمْسٌ مِنْ هَوَانا ؟

لستُ أدرى ؟

طىَّ صدرى برحُ هجرى أينَ صَبرِى

لستُ أدَرى ؟

ليسَ ذَنبي ذنبُ حُبِّي أينَ لُبِّي

لستُ أدرى ؟

يا حَبيبي سَكِرَ الكونُ وناما

وغفَتْ يا ليلُ كاساتُ النَّدامى

غيرَ أقداحى وأقداحِ الهَيامى

مُقْسِماتٍ بالهـوى ألاَّ تَناما

يا حبيبى سكرَ الكون وناما

فَإلامَ السكرُ يا روحى إلَاما

لستُ أدرى ؟

(تخرج باكية)

(يدخل صبح وهو يردد « لست أدرى أين بدري » – تدخل ليلى)

ليلى : « صبحُ » !

صبح : « ليلى » « ما أُحَيْلى ساعةً

جَمعتنا »

ليلى : هاتِ مِنْ هذا الوَتَرْ

رَتِّلِ الحبَّ وشَنِّفْ مَسْمَعِى

واتلُ من قرءانه كلَّ السُّوَرْ

صبح : فُرصــةٌ واتَتْ فهيّا نَحتَسى

من كؤوسِ الحبِّ ما يَشْفى الوَطَرْ

قبلةٌ عَطْشى إلى هــذا اللِّقـا

وفمٌ ظمآنُ مِن طولِ السَّهَرْ

(يقبلها طويلا)

قبلةٌ أسْكرتْ فؤادىَ « ليلى »

هِىَ عندى مَن المَسرَّة أحْلى

ليلى : وهْىَ فى مَبسَمى ألذُّ وأغْلى

(يقبلها أيضاً)

سَرَقْنا الهوَى يا « صبحُ » ،

صبح : هل جَدَّ طارئٌ ؟

عَساه « سُليمى » !

ليلى : هل سمعتَ لها ذِكْرا؟

صبح : أَجَل إنها كانتْ هُنا منذُ لَحظةٍ

تُناجى «ابن زيدونٍ» وتَبْكى بكاً مُرّا

ليلى (بسخرية): أَتَبكي «سُليمى» ! !

صبح : صَدِّقِي ما أقولُهُ

لقد ندِمتْ واستمطرتْ أدمُعاً حُمْرا

وبان لها أنّ «ابْن عَبْدوسَ» غَشَّها

فتَعساً لها كانت ضَحيتَهُ الكُبْرى

وسَحْقاً لهُ ضَحَّى بها وبشاعر

ليلى : ومولاتُنا أيضاً ضحيَّتُه الأُخرى

صبح : أَلَم تُخبريها عن «سُليمى» و«فارِهَا»[1]

وما بَيْنَنا مِنْ فَتْكةٍ تَقصِمِ الظهْرا

ليلى : وَجَدْتُ «سُليمى» و«ابن عبدوسَ» عندها

يدُسَّان حتى أوغرا صدرَها البكْرا

---

(١) الفار : لقب يطلق على الوزير ابن عبدوس .

صبح : فما الرأىُ يا «ليلى» وماخِفتُ واقعٌ

ليلى : سأُحْبِطُ يا روحى المؤامرةَ النَّكْرا

* * *

صبح (يرى رباح حاجب ولَّادَةَ قادما) :

«ليلى» : انظُرى «رباحُ» آتْ

ليلى : الوقتُ لى غــدا مُؤاتْ

صبح (وقد رأى وَلَّادَة) : «ولّادةُ» قادمةٌ ، «ليلى»

ليلى : حـــظٌّ قد كُـنَّا ننتظرُهْ

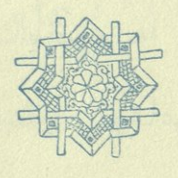
(تدخل وَلَّادَةُ)

أهـــلًا بالمجـدِ وربَّتِهِ

ولّادة : «ليلى والصُّبح» !

صبح : وها فَجْرُهْ

(تبتسم وَلَّادَة)



المشهدُ الرابع

ليلى : اِمنَحينى الـكلامَ (تقف الحاشية بعيداً)

ولاّدة : أىَّ كلامٍ

ليلى : عَنْ «سُليمى» وعن دسائسَ كُثْرِ

ولاّدة : وهل من جديدٍ « هاتِ ياليلَ واصدُقى »

ليلى (متأثرة) : أَجَلْ أنتِ فى شكٍّ لَعَمْرِىَ من أَمْرِى

ولاّدة : لعلّىَ لَمْ أَجْرَحْكِ بالقول فاسمحى

ليلى : فديتُكِ مَوْلاتى بمالى وبالعُمْرِ

(ليلى مستمرة)

بشاعرِ عصرنا افتَتَنتْ « سُليمى »

وأمستْ فيهِ والهــــةً غَراما

تُفَــدّيهِ بأَنْفَسِ ما لديها

ولاّدة : وشاعرُنا يُبادِلُها الهُيـاما

ليلى : يَميناً إنَّ شاعرَنا بريءٌ

لَئِنْ أنصفتِ قلتِ لقد تعامَى

ولمَّا أَخفقتْ عادَتْ لِدَسٍّ

لعلَّ الدسَّ يُبلِغُها المَرَاما

ولأَّدة : تحاكتْ ما رويتِ قبيلَ ثوباً

وبُرداً من صنوفِ العارِ غاما

ليلى : «وهل ضرَّ السحابَ نباحُ كلبٍ»

أو المزنَ الهطُولَ بُكا الأَيامَى

ولأَّدة (للحاشية): اتركونى و« ليلى »

رباح : سمعاً وطاعهْ

ولأَّدة : تخِذْتُكِ موطنَ الأسرارِ « ليلى »

لأنى منكِ واثقةٌ تماما

لَقَدْ آمنتُ أنَّ هُناك دسًّا

وطعناً — سامحَ اللهُ المُلاَما —

ولكنْ هل علمتِ هوًى جديداً

حمى عن عينِ شاعرِنا المَناما ؟

« لذى النُّونِ » الأميرِ فتاةُ حُسْنٍ

بهذا الحسنِ شاعرُكِ استهاما

وأصبحَ شادياً في كلِّ نادٍ

وأمسى في الهوى يَشكو السَّقاما

ليلى : أتعنين « ابنَ زيدون ؟ ! »

ولَّادة : ولِمْ لاَ ؟

ليلى : فديتُكِ إنَّهُ كَذِبٌ تَرَامى

يشيِّعه « ابن عبدوسٍ » ليُطفِى

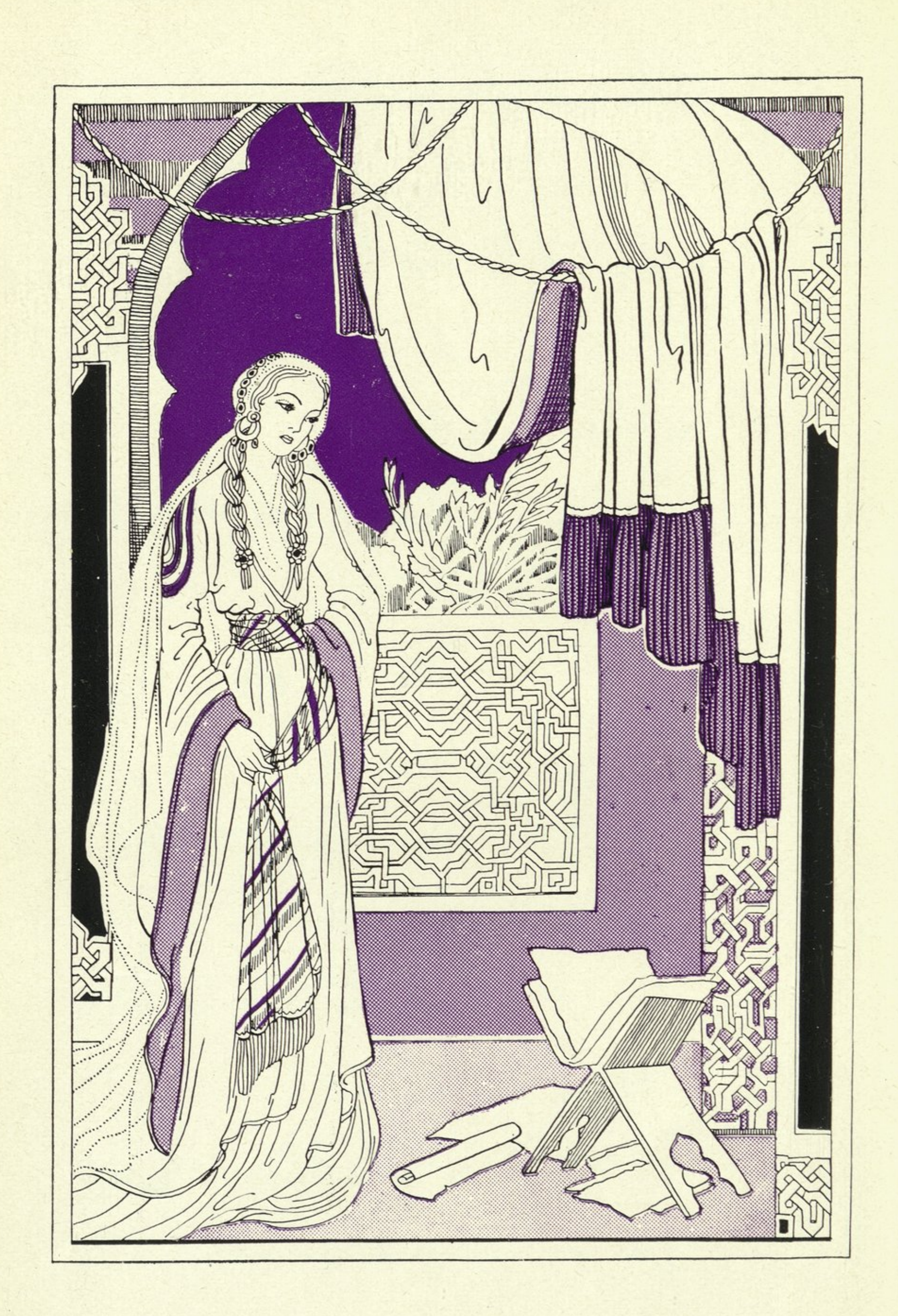
غليلاً شفَّه أبداً ضِراما

ويَسْحقَ بعدَ ذا قلبين عاشا

خَدِينَيْ عِفَّةٍ خُلقا تُوَأما

ولادة (بجد وألم) : إنِ « ابن زيدونَ » أَضحى اليومَ مفتتِناً

بِبنتِ « ذى النونِ » هذا ليسَ يَعنينى



إنْ كان قلْبُ الذى أهواه مالَ إلى

قلبٍ سواىَ فهل إن نُحْتُ مُدْنِينى ؟!

ما ضَرَّنى حبُّه أو بغضُه أبداً

بل ضَرَّنى أنَّ حبِّى باتَ يُشْقِينى

لئن أَسِفْتُ على شىءٍ فليسَ على

حبِّى ولكن على غشِّ «ابن زيدونِ»

أحَبَّنى رغبة فى نفسهِ جَمَحَتْ

فأظهرَ الودَّ والحسنى ليُغْرِينى

والآنَ قلبى وقد أعطيتُه ثمناً

يَصدُّ عنه ويَغزُو بنت «ذى النُّونِ»

لعله بِهَوَاها يرْتَجِى شَرَفًا

نوَالُه عِنْدَ مِثْلى غيْرُ مأمُونِ

لو كان حيًّا أبى ما نالنى تعبٌ

ولا جفانى «ابن زُيدونٍ» على هُونِ

(تبكى)

ليلى (منفعلة) : أعُوذ بالله من كيد «ابن عبدوسِ»

أعـــوذ بالله من شرِّ الأباليسِ

ومن أحاديثِ مجنونٍ ومهووسِ

ومن «سُليمى» وقدجاءتْ بتدليسِ

بكِ «ابنُ زيدونَ» يغدواليومَ مؤتَمِراً!!

كلَّا، ولو توَّجوه مُلْكَ «بَلْقِيسِ»

لو خُيِّرَ الكونَ والأَفلاكَ مملكةً

وجَنَّةَ الخُلدِ أو حورَ الفرَادِيسِ

ما اختارَ غيرَكِ معبوداً يُمجِّده

فى هدأةِ اللَّيْلِ أو نجْوى الأحاسيسِ

ولادة (هادئة أسفة) :

كلتُ يا ليــلَ التُّهَمْ من تبــاريحِ الألَمْ

لج بى الواشــون فانْ تهَلَتْ تقــريعاً وذَمْ

والهــوى إنْ جارَ لا يعرِفُ القلبُ النَّدمْ

ليلى : إنَّ مَنْ تَهــوين مِنْ أكرمِ الناسِ شِيَمْ

« ابنُ زيدونَ » الذى لا يُجارَى فى الهِمَمْ

ولّادة (بتلهف وندم) :

أين «ابن زيدونَ» يا «ليلى» هوَ الآنا؟

ليلى : هل زالَ ما دسَّه الواشونَ أعدانا ؟

ولّادة : قد زالَ ما كانَ من شكٍّ بفضلكِ فِي

نَفسِي وحلَّ الصَّفا، والقلبُ قد لانا

الحمدُ لله أَنْ كنتِ السبيلَ إلى

تقريبِ قلبينِ كانا للنَّوى الآنا

(يدخل رباح)

رباح : انتظمَ السامرُ مولاتى والكلُّ تشوَّفَ لِلذَّات

* * *

ولّادة : هل «ابن زيدونَ» بين القوم يُنشدهم

من شعره العبقرىِّ الصنع ألوانَا

فمن بديعٍ بألفاظٍ منمَّقة

رقَّتْ فأرسلتِ التعبيرَ ألحانا

وَمِنْ معانيه بِكْرُ القولِ نادمهم

راحَ البيـان زُرَافاتٍ وَوُحْدانَا؟

رباح : ليسَ «ابن زيدونَ» مولاتى بسامِرِنا

يُقالُ سافَرَ صوبَ الشرقِ غضبانا

ليلى : لقد رأتْه «سُليمى» قبلنا فرمَت

من الأباطيلِ ما شاءتْ وما شَانا

وأَشْهَدَتْ أنها فى القولِ صادقةٌ

و «بابن عبدوسَ» زادَ القولُ بُهتانا

ولاّدة : الآنَ أدركتُ أنى كنتُ مُسرفةً

فى اللين حتى نَما الواشونَ أفنانا

فمن هَوادةِ طَبْعى أخصبوا ورَعَوْا

وازدادَ كِذْبُهُمُ بغياً وطُغيـانا

سأقطعُ الدسَّ بالحزمِ الشديدِ فما

للمُفسِدين سِـواهُ ماحقاً كانا

وليعلَمِ الناسُ أنَّ الخير رائدُنا

وأننا قد تخِذْنا العَدْلَ سُلطانا

(إلى الحاجب رباح)

« رباح » !

رباح : سيّدتى ،

ولاّدة : هل شانَ مجلسَنا

وجهُ « ابن عبدوسَ » ؟

رباح : كلاَّ ، الليلَ ما جانا

ولاّدة : لَئِن أتى و « سُليمى » فامنَعَنَّهما

عنِ الدخولِ ونَفِّذ أمرىَ الآنا

وقُلْ عهودُ الخَنا والدسِّ قد دَرَسَتْ

وذرَّ فجرُ الهنا والبشرُ قد بانا

(يذهب رباح)

« ليلى » إلىّ تعالَىْ نبكِ شاعِرَنا

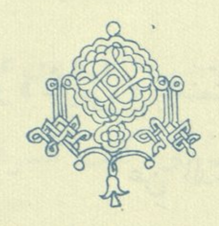
لقد أَضعنا صديقاً كانَ يرعانا

(تبكى)

ليلى : لا تبكِ سيِّدتى إنّى سأطلبُه

فى البحر إنْ سارَ أَوْ فى البرِّ إنْ كانا

﴿ ستـــار ﴾



الفصل الثانى

وفيـه خمسة مشاهد

أشخاصـه

ورد	ولّادة
سعد	مسك
مالك	سليمى
بشر	ليـلى
أحمد بن سراج	ابن زيدون
مُنى	صبح
رباح	الشادى

شادية ، راقصون وراقصات

المشهد الأول

المكان :

قصر « ولّادة » ، وقد انتظم السُمّار فى الندوة على الأرائك فى صفوف متقابلة ، وعلى المناضد فرادى وجماعات .

الزمان :

فى الساعات الأولى من الّليل وقد أنيرت الندوة بمصابيح أندلسية فخمة .

ورد : حديثُ الناسِ يا « سعدُ » هُراءٌ ماله حَـــدٌّ

يقولون « ابن عبدوسٍ » بَرَاه العِشْق والوجـدُ

وأمسى هائماً يشـدو

سعد : ومَنْ ليلاه يا « ورد » ؟؟

ورد : « ولاّدةُ » زهرةُ وادينا (يبدو الاستغراب على سعد)

سعد : سَحقاً للماجنِ ،

ورد : آمينا

مالك : أرى السَّامرَ يا « بشرُ » كساهُ الليـلةَ البِشرُ

ففيهِ العـلمُ مؤتَلِقٌ وفيـه الشِّعْرُ والنثرُ

وساداتٌ غَطـارفةٌ وأعـلامٌ لهم ذِكْرُ

ونُدمانٌ هُمُ الخمْرُ وحـورٌ أنجـمٌ زُهْرُ

(يضحكان)

بشر : فى صولةِ العزِّ لم تَشْهَدْ جَزيرتُنا

عهداً كهذا به للعِلم سلطانُ

ظِلالهُ الوارفاتُ اليومَ مُبْتَرَدٌ

وَوِردُهُ سائغٌ إِنْ رادَ ظَمآنُ

مجالسُ العلم والآدابِ حافِلةٌ

لا «مصرُ» تبلُغهاشأواً و «بَغْدانُ»

فهــل بشرقِهِمُ نادٍ كَنَدْوَتِنا

وسامِرٌ فيــه نُظَّارٌ وَأعْيانُ

وفتيةٌ كنسيمِ الفجرِ رِقَّتُهُمْ

وشاعرونَ وقَيْنَاتٌ ونُدْمَانُ

تَزينهم رَبَّةُ المجدِ التليدِ ومَنْ

بذكرها قد حَدَتْ بِيدٌ ورُكْبانُ

مالك : أخشى على عهدِها المَيّاس مِنْ نفَرٍ

ألحقُّ عنـدهُمُ مَيْنٌ وبُهْتانُ

يُؤَرِّخُونَ لياليها كؤوسَ طِلى

وبَهْوَ مجلسها للفسق مَيْـدَانُ

تُدار فيــه على السُّمَّار قُبْلَتُها

حَرَّى فَيرْقُصُ كُلٌّ وهو نَشْوانُ

وَطُهر « ولاّدةَ » القدسىُّ منهتِكٌ

مجرَّدٌ من ثياب الصَّون عُرْيانُ

أبو الحسين أحمد بن سراج (مداعباً الشاعرة الأديبة منى وقد كان يهواها) :

أَين بِكْرُ الروىِّ من أشعارِكْ

وعيُونُ الـكلامِ من أقوالِكْ

أينَ أينَ المجنّحاتُ من النثر

وأين البـــديعُ من أمْثالِكْ

هاتِ فالعمرُ ليـــلةٌ تَتقَضَّى

بين كأس ومِزْهَرٍ وجمالِكْ

منى : ذاكَ عهدٌ شيعتُهُ مِن زمانى

حافلاً بالعِــذابِ من أيامى

نُضْرةُ العمرِ بالشَّبابِ تَباهَتْ

ثُمَّ ذابتْ على أُوارِ غرامى

فإذا العمرُ حُـلْمُ ليْلةِ أُنسٍ

وإذا الكونُ مِنْ كؤوسِ مُدامى

المُنى قد رَقَصْنَ فِيهِ نَشَاوى

ثم أَغفَيْنَ فى دُنا أنْغامى

مُتْعةٌ مِنْ هوَى اللَّيالى العَذَارى

لفَّها القَلْبُ فى حُلَى أحلامِى

أبو الحسين : بربك ألبسى ليْلِى جَمالاً

وهاتى يا « مُنى » راحاً حلالا

وقُولى تنطقِ الدُّنيا نشيداً

وسحراً من فُتُونكِ قد تلالا

وغَنِّى وابعثِى الأَنْغَام وحياً

ولحناً عبقريًّا قد تعالى

فما الدُّنيا سوى ساعاتِ أُنْسٍ

تُساقِينا وآجالٍ تَوالَى

(ثم يقترب من « منى » وقد سرت به النشوة فيقول)

شَعْشِع اللَّيلَ من بهاكِ ضياءً

وانشِرِ البشرَ فى مَداهُ البعيدِ

ومُرِ اللَّيلَ أن يطولَ وقُولى

أَيُّها الفَجْرُ لا تَفِقْ من رُقُودِ

نحنُ عَطْشى إلى اللِّقا فاسْقِنيها

من حُمَيَّا اللَّمَا وَوَرْدِ الخُـدودِ

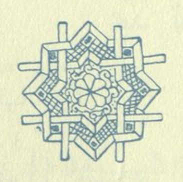
سعد (إلى بشر) : ما الذى أخّر مولاتى الأميره ؟

إنّ فى الأمر باعثاً للحـيره ! ؟

رباح : (يعلن قدوم ولاّدة بنت المستكفى بالله)

أميرةُ الوادى الخَصيبِ ورَبَّةُ المجـدِ القَشيبِ

(ينهض الجميع . تدخل ولاّدة محاطة بوصيفاتها وأصدقائها)



المشهد الثانى

ولّادة : سلامٌ على الملأ السامرِ سلامٌ على الأدب الزاهرِ

الجميع : عليكِ السَّلامُ ، عليكِ الثَّناء ، ومِنَّا الوَلَاء

ولّادة : تفضَّلوا واجلسوا (يجلسون)

أهلًا بكم مَـلَأً

بهم نفاخرُ أخلاقًا وآدابا

بشر : حُيِّيتِ يا ربةَ الوادى ونِعْمَتَهُ

ويا ابنةَ الصّيدِ مِنْ رَيَّاكِ نَفْحَتُه

لولا أميَّـةُ ما كنَّا وكانَ لنـا

مجدٌ تُطِلُّ على الأَجيالِ رِفعتُهُ

أبو الحسين (إلى مالك بن سليمان) :

بخٍ بخٍ ما يقولُ الشـاعرُ الفطِنُ

لولا سيوفُهمُ ما كانتِ العرَبُ

مالك : إنَّ السيوفَ أراها اليومَ نائمةً

وحاملوها لهُمْ فى لهوِهم صَخَبُ

فأرضُهمْ مُزِّقَتْ بينَ الطّوائفِ مِنْ

أتباعِهم وعيونُ « القُوط » تَرْتقِبُ

هذا على جارِه إلبٌ وذاكَ على

أخيه حربٌ ضروسٌ ما لها سَبَبُ

ومَلكُ « قشْتالةٍ » يحتزُّ أرضَهم

مدينةً تِلوَ أخرى بئسما اطّلبوا

أجلْ سيأتى زمانٌ قد تقامُ به

على معابدِنا الأجراسُ والصُّلُبُ

وسوفَ نَطْردُ من هذى البلادِ على

حالٍ من الذُّلِّ والأيامُ تنقَلِبُ

بشر : هوّنْ أخَىَّ عليكَ فالدُّنيا لنا

تلكَ العزائمُ ما تزالُ بنا بنا

ولّادة : «أبا الحسينِ» أدرْ راحَ الحديثِ

أبو الحسين : نعمْ، الرّاحُ منكِ تُساقينا فتُنْشِينا

لولاكِ لم يَشْدُ غِرِّيدٌ بسامرنا

ولا تَرَدَّدَ بالأنغامِ نادينا

ولا ترَنَّم بالأشعارِ شاعرُنا

ولا تحدَّثَ بالنَّعماءِ وادينا

* * *

ولّادة : لا فُضَّ فوكَ «أبا سراجٍ» إننى

أبغى ازدهارَ العلمِ فى هذا الوطنْ

أَحببتُه منذ الصِّبا أَسكنْتُهُ

فى مهجتى ووهبتُه رُوحى ثَمَنْ

فالله يَشْهَدُ كم شَقِيتُ بِهِ وكَمْ

فارقتُ فى إسعادِهِ حُلْوَ الوَسَنْ

أبو الحسين : بالرُّوحِ مولاتى نفَدِّى ذا الوَطَنْ

بعزائمٍ لا تَعرِفُ اليومَ الوَهَنْ



شَبَّتْ على حُبِّ الجهاد كريمةً

إيمانُهـــا باللهِ أَولَ والوَطَنْ

الجميع (وقد أخذهم الحماس) :

إيمانُها بالله أَوَّلَ والوَطَنْ

ولاّدة : بورك اليوم للبـــلاد بشعبٍ

فيهِ من عَزْمَةِ الُجدود بَقِيَّـــه

سوف نبنى كما بَنَوْا صَرْحَ مَجْدٍ

أُسُسُ العَدْلِ فى بناهُ قويهْ

ورد (صارخا): تحيا «ولاّدةُ»،

الجميع (يهتفون): فَلْتَحْيا

للمجـدِ المُشْرِقِ والعَلْيَا

ورد : تحيا «ولاّدةُ» فلتحيا

* * *

ولاّدة (لمنى) : «منى» لَعمرى أراكِ الليلَ غارقةً

فى بحرِ همٍّ من الأفكار يَصْطَخِبُ

أهاجَكِ الحُزْنُ للعهد الجميلِ ؟

منى : أجل .

عهدٌ زها العلمُ فيه وارتقى الأدبُ

لكنْ يُخَفَّفُ حزْنى يقظةٌ بدرَتْ

على يديك وبعثٌ بات يُرْتَقَبُ

عاشتْ أَميرتُنا « ولّادةٌ » قبساً

بنوره تَهْتَدِى فى ليلِها العرَبُ

ولّادة (لمنى) : ما الذى أَعدَدْتِ

أبو الحسين (مدركا ما جال بخاطر ولّادة يصفق بيديه مقاطعا) :

يا بُشْرى لنـــا ، (تبتسم ولّادة)

ولّادة : من جميلِ القول من حُلْوِ النَّغَمْ

فانْشُدى فالكونُ يَشْدو بالمُنى

وابعثى الألحانَ من عُود وفَم

(يؤتى لها بعود وتصدح الموسيقى من خلف الستار مصاحبة ثم تندفع منى مغنية)

الغنـاء : أيها السّاقى أَدِرْ كأسَ النّدامى

واسقِنا من ثغرِكَ الُحلوِ المُدَاما

(أصوات استحسان)

نحنُ بالحبّ سُكارى ، ما أَفَقْنا ،

فلنقضّى العمرَ يا صحبى هيَامى

هاتِ راحَ الحبّ أنفاسَ العذارى

هات نفحَ الصبحِ من ريَّا الُخزامى

يا نَدامى نهنهوا كأسى وغنُّوا

واملأُوا الدنيا نشيداً يا نَدَامى

(أصوات استحسان)

إنما أعمـــارُنا يومٌ مضىٰ

إنْ تغب شمسُ الهوى أمْستْ ظلاما

(تنتهى من غنائها بين عاصفة من التصفيق والاستحسان)

أبو الحسين : جميلٌ هُوَ النَّغَمْ وفنٌّ به ارتَسمْ

سعد (إلى مالك): منى أَبْدعتْ .

مالك : مِزمارُ داودَ صوتها ،

بشر : « وزرياب »[1] لحناً

ورد : « وابن زيدونَ » فى الشعرِ

(تضطرب ولاّدة عند ذكر ابن زيدون)

ولاّدة (إلى منى) : أشعرُكِ هذا يا « منى » ؟

منى : ليسَ من شعرى

ولاّدة (بألم) : فهمتُ (لنفسها)

أجلْ يا ليت أنّىَ لم أدر

أبو الحسين : (وقد هاجه السامر وهزه طرباً . يقول مخاطباً ولاّدة)

مولاتى اعتادتْ تُتحفنا من روض الأنس فتُبهجُنَا

فتزينُ الفرحةُ سامرنا وتهزُّ الملاحةُ مجلسَنَا

مولاتى الطُّرفةَ مولاتى

الجميع : مولاتى الطُّرفةَ مولاتى

---

١ – من أشهر المغنيين فى الأندلس

المشهد الثالث

ولّادة (تصفق فيأتي رباح) :

هل راقصاتُ «بلنسيَه»

رباح (مقاطعا من فرحه) : بالبابِ يامولاتيَهْ

ولّادة : فليدخُلنّ وكن على كَثْبٍ لتسمعَ أمرِيَهْ

(يذهب . ولّادة تداعب أبا الحسين أحمد بن سراج)

هل ترقصنّ «أبا الحسين» وتنعمنّ برقصهنّ ؟

أبو الحسين (مازحاً) : لأُسبحنّ بحمدهِنّ وألهجنّ بشكرِهنّ

ولّادة (تشير إلى منى وهي تعلم ما بينهما من مودة)

أما «منى» (تبتسم ولّادة)

أبو الحسين : فستغفرنّ إذا دُفنتُ بقربهنّ

(ضحك من السامرين)

منى (بألم المجروح) : أرجو لكَ السعدَ العظيمَ وما تُحِبُّ بوصلهنّ

أبو الحسين (مستدركاً تماديه)

اللَّعنـــةُ الـكبرى علَيَّ إذا شُغِلْتُ بِحُبِّهِنَّ

(ضحك من السمار وولاّدة)

عَفْواً مَزَحْتُ ولَمْ يَكُنْ قَصدى أسيءُ بمزحِهِنَّ

(يدخل الراقصون والراقصات ويحيون بإحناء الرأس. تصدح الموسيقى الراقصة من خلف الستار. ويبدأ الرقص الأندلسى القديم. وبعد انتهائه يخرج من بينهم راقص يغنى المقطوعة التالية وتعزف الموسيقى مصاحبة غناءه والراقصون والراقصات يتمايلين على نغم الإيقاع)

الراقص الشادى (يغنى)

فى ضيـــاءِ القمرْ فى هـــدوءِ السَّحَرْ

ما أُحيـلَى السَّهرْ

وشعاعٌ من عيونِكْ ودلالٌ من فُتونِكْ

وحديثٌ من فُنُونِكْ

فيـــه نفحُ الزَّهَرْ وابتسامُ الخَفَـــرْ

ما ألـذَّ السَّمَرْ

يا حبيبى : يا حبيبى : يا حبيبى :

(استحسان من السمار)

يا نسيمَ السَّحَرْ يا حنينَ الوَتَرْ

هل حبيبى غَدَرْ ؟

يا طيورُ غرّدى يا رياضُ ردّدِى

يا دموعُ أيّدى

أينَ أينَ المفرّ هل لِقلْبى مَقرّ

فى فَيافى القَدَرْ

يا حبيبى : يا حبيبى : يا حبيبى :

(استحسان من السمار)

أنت بدرٌ بَدَرْ أنت صبحٌ بَهَرْ

أنت دنيا العِبَرْ

أنتَ سِرٌّ حياتى ضُمَّنى قَبْلَ وَفَاتِى

يا حياتى و مَماتى

هــل يطولُ السَّفَرْ في طريقِ الكَدَرْ

أم هَنائى حَضَرْ

يا حبيبى : يا حبيبى : يا حبيبى :

(استحسان وتصفيق)

(وبعد أن ينتهى من غنائه . تخرج راقصة من الراقصات مجيبة عن هذه العواطف . تندفع مغنية والموسيقى مصاحبة والراقصات والراقصون أيضاً)

الراقصة الشادية (تغنى) :

أيُّها الحــادى بِصَحْراءِ الهوَى

إنَّ فى قَلْبى بِما تَشْدو هوَى

فَجـرُهُ ذَرَّ علينــا وسَقَى

طلُّهُ عهــدَ صِبانا وَروَى

لا تقلْ إنّى تناسيتُ الهوَى

أىُّ صَبٍّ بالهوى مِثْلى اكْتَوَى

(استحسان)

كم شكوتُ الحبَّ فى سِرِّ الدُّجى

واحتسيتُ الدَّمعَ من حَرِّ النَّوَى

أنتَ إنْ غَرَّدْتَ بالحبِّ شَدَتْ

أمّةٌ بالُحبِّ والكونُ دوى

أَنْتَ إنْ نُحْتَ بَكَيْنَا حَسْرَةً

وَبَكى الطَّيرُ على عَهدِ الهوَى

أيُّهـــا الشَّادى تلمَّسْ حالَتى

واشكُ من نفسِك لا نَفْسى الجَوى

(استحسان)

(يقترب الشادى منها فى حال تضرع . وما إن انتهت من غنائها حتى بدأ هو تصاحبه الموسيقى)

اصفَحى يا مُنْيَتى عنِّى فقـــد

غشَّنى الواشِى فَصدَّقْتُ اللوَى

غَـيْرَةٌ جارتْ على قَلبى فلم

يَقوَ يا عينىَّ واستَعْصى الدَّوا

(يضع يده على كتفها ويأخذها إليه ثم يمشيان وهو يغنى)

تعالَىْ نُشْهِدِ البدرَ لِقانا

تعالَىْ نُسْمِعِ النَّجْمَ هَوَانا

(أصوات استحسان)

نداءُ الحبِّ للحُبِّ دَعانا

فهيَّا نَحْتَسى مِنْهُ هنَانا

(يغنيان معا) : فى ضياءِ القَمَرْ فى هُدُوءِ السَّحَرْ ما أُحيلى القُبَلْ

يا حبيبى : يا حبيبى : يا حبيبى :

(يقبلها على دوىّ التصفيق واستحسان السامرين)

ولاّدة : « رباحُ » :

رباح : مَوْلاتى

ولاّدة : أمَرْنا بألفِ دينـارٍ لهنَّ

الشادية : شكراً لمولاتى الأَميرَهْ

الشادى : شكراً لسـيِّدةِ الجزيرَهْ

سعد(باستغراب): ألفُ دينـارٍ ؟

بشر : أجَـلْ

مالك (مندهشاً) : ألفُ دينار ؟

ورد : نَعَمْ

أبو الحسين (إلى منى) : ما أُحَيْلَاهُ غِنَا

منى : ما أُحَيْلَاهُ نَغَمْ

(يبدأ السامرون فى الانفضاض)

أبو الحسين (إلى ولاّدة) : بحفظِ اللهِ مَوْلاتى

منى : وفى لَيْلِ المَسَرَّاتِ

مالك : جَعَلَ اللهُ عَهْدَكِ الفَرْدَ عِيدًا

بشر : ولَيَالِيكِ فى الزّمانِ فريدَه

(ينصرف السمار ولا تبقى إلا ولاّدة وحدها)

ولاّدة (وقد هاج السامر ذكرياتها تقوم من مقعدها وتمشى فى الصالة جيئة وذهابا وهى تقول) :

حُبِّى كَحُبِّ الشاديهْ يحلو لهُ تَعذيبيَــهْ

هجرٌ وشوقٌ فى الحشا أَوَّاهُ مَن أَضْنانِيَــهْ

يَدْرِى عظيمَ عَنائِيَهْ

أينَ يا « لَيلى » حبيبى ؟ طالَ بُعدِى ونَحِيبى

(تمسح دموعها)

مَن لقلبى مِنْ وَجيبى مَنْ لِجسمى من شُحُوبى

يا حبيبى : يا حبيبى :

هل نَلْتَقِى يا غَانِيَهْ بعد القَطِيعةِ ثانِيَهْ

والقلبُ يهتِفُ عاليا إن الزمان صفَا لِيَهْ

وارتحتُ بعدَ شقَائِيَهْ

إيهِ يا « ليلى » أجيبى بِتّ فى هَمٍّ عصيبِ

مِنْ هَوىً يُذكى لهيبى يا لبُؤسى مِنْ نَصِيبى

يا حبيبى : يا حبيبى :



المِشهدُ الرابع

(يدخل مسك مسترقاً خطاه)

مسك : مَوْلاتى :

ولاّدة : (وقد ساءها حضوره) :

« مسكُ » وما تَبْغى ؟

مسك : العفوَ العفوَ . . .

ولاّدة : وما الذّنْبُ !

مسك : لا ذنبَ

ولاّدة : تكلَّمْ

مسك : مَوْلاتى العفوَ لِمَنْ يَهْوى القَلْبُ

ولاّدة (بحنق صارخ) : « سليمى » ،

مسك : أَجلْ

ولاّدة : تَبًّـا لَها « ولِفَارِها »

فما أَضْمرا إلاَّ الوقيعةَ والخَتْلا

أأعفو عنِ الجرم الفظيعِ لبَعْدَمَا

طَلبت ؟

مسك : ولـكنْ حِلمُ سيِّدتى

ولّادة (بشدة) : كلاَّ

مسك (مندفعا اندفاع المحب) :

إذا لم تُقِيلى أنْتِ زلَّةَ عَاثِرٍ

فما الفرْقُ بين العبْدفى العفْوِ والموْلَى

* * *

ولّادة (هادئة بعض الهدوء) :

ولـكنّها خانتْ حنانًا غمرْتُها

بنِعْمائه واسْتهْدفتْ عملًا نذْلًا

فمِن أجل منْ نمَّتْ ؟ أليسَ لِغادرٍ

أطاحتْ بِبُرْدِ العطْف فى ليْلةٍ ليْلًا

مسك : لقدْ ندمتْ والحزنُ سادَ حياتَها

وريعتْ بِهِ والخطْبُ سيِّدتى جلّا

فإنْ تَغْفِرِى فالصَّفْحُ فيكِ سَجيَّةٌ

ومَنْ كَسُلَيْمى منكِ بالعفوِ ذا أَوْلَى

ولاّدة (بهدوء الحليم) : عَفَوتُ عنها لأجْلِكْ

مسك (بفرح جنونى . يجثو عند قدميها) : فديْتُ نَفْسى لِنُبْلِكْ

لرِفْعةِ الْخُلْق وَأَصْلِكْ

(ثم يقوم بعد أن تربت على كتفيه ويقول)

أتأذَنينَ لها أَنْ تَدْخلَ الدَّارا ؟

ولاّدة (بابتسامة مريرة) : أجل أَذِنْتُ لِمَنْ شَبَّتْ به النّارا

وَفرَّقتْ بَيْنَنا مِنْ غَيرِ ما سَبَبِ

وخَانَتِ العهدَ والمعروفَ والجارا

مسك : لقدْ عفوْتِ

ولاّدة : بَلى ، فاذْهَبْ لتُبلغَها

فَقَد طَوى اللّيـل خِلّانًا وسُمَّارا

* * *

(يذهب . ولادة وحدها متألمة تمشى ذهابا وإيابا)

ولّادة : ما بالُ صدرىَ هذا اللّيلَ مُنْقَبِضاً

والياسُ يَزْحَمُ آمالًا وأفْكارا

ولِلفَجيعةِ تَرديدٌ وأحسِبُنى

سأُنْفِقُ العمُرَ أَحزانًا وأكْدارا

لا مُلكَ فى ظلهِ ذُقتُ النَّعيم ولا

قلْبى بِمن يَبْتغى قد نال أَوْطارا

فَقَدْ أَبى الْقَوْمُ إلَّا فتْكةً بِأَبى

وَلِى الشَّقا والخنا والخزىَ والعارا

سيَعْلَمونَ بِأَنّى لستُ نائمةً

وأنَّ مَوْتُورةً لن تَتْرُكَ الثَّارا

* * *

(تدخل سليمى ومسك والأولى مطرقة رأسها ندما وخجلا)

ولّادة : أقبِلِى قد نسيتُ

سليمى : رُحْمَاكِ عفوًا

ولاّدة : قد عَفونا وقد نَسِينا الذُّنوبا

هلْ تَرَامى عنِ «ابنِ زيدونَ» عِلمٌ

بعد ما صَدَّق اللئيمَ الكَذُوبا

أيُّ أَرضٍ حوَتْهُ أيُّ سَمَاء

ظَلَّلته وهل تَنَاءى دُرُوبا

لجَّ بِي الشكُّ يا «سُلَيْمى» أَنيرى

ظُلْمَةَ الشَّكِّ أَطلِعِينى الغُيُوبا

سليمى : كلُّ شيءٍ علمتُه اليومَ عنه

أنه أَزمَعَ الرحيلَ جنُوبا

هَجرَ المنصِبَ الرَّفيعَ منَ الحز

ن وأَمسى من الفُراق كَئِيبا

هَدَّهُ الُحزنُ لا يُرى غيرَ باكٍ

ذارفًا دمعَهُ سَخِينًا صَبِيبا

ولاّدة (بتلهف وحزن)

أَىُّ مَلْكٍ من الطَّوائفِ وَلَّى

شَطرَه يَبْتغى الجَنابَ الرَّحيبا

سليمى : لستُ أدرى لأيِّهم سارَ ، لـكِنْ

رُبَّما أَجَّلَ الرَّحيـلَ قَريبا

مسك : هلْ تجلَّت له الحقيقـــةُ

سليمى : كَلاَّ ،

قد تلَقَّى العشىَّ أَمْرًا عَجِيبَا

ولاّدة (متلهفة): ما هُوَ الأَمْرُ يا « سُليمى » أَبِينى

إنَّ فى باطنِ الرَّمادِ لَهيبا

سليمى : قد دعاهُ « أَبو الوليد » إليهِ(١)

إنَّ فى الأَمْرِ . . .

ولاّدة(منزعجة) : قد فَهِمتُ . . .

سليمى : خُطُوبا

---

١ – هو الوليد بن أبى الحزم بن جهور . ولى أمارة قرطبة بعد وفاة أبيه .

ولادة : مؤامرةٌ تُدبَّرُ من جَـديدٍ

لِتُودىَ با « بن زيدون » قَرِيبا

سَيُسْجَنُ لا مَحالة ، إنَّ صدْرى

أَراهُ اللَّيلَ مُنْقَبِضاً كئِيبا

سليمى : فديتُكِ هوِّنى ،

ولادة : ما الخطبُ سهلٌ

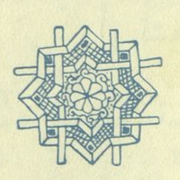
علَىَّ فقد بدَا خطباً عصيبا

(متأثرة) : تكاثرتِ العُدَاة على حبيبى

وفَوَّقَ كلُّهمْ سهماً مُصيبا

سليمى : حَنـانَكِ رَوِّحى هَمّاً مُنيخاً

عَسى أنْ يَفْرِجَ اللهُ الكُرُوبا



المشهد الخامس

(تدخل ليلى ويبدو عليها العبوس إذ تشاهد سليمى)

ولاّدة (بفرح وتلهف) :

«ليلى» : أتيتِ وفى الهزيع الآخِر

ما جدَّ قُولى نَفِّسى عَنْ خاطِرى

ليلى : هل تأذنين بخَلْوَةٍ

(ينسحب مسك وسليمى)

ولاّدة (لهما) : لا تُبْعِـــــدا

عنّى فقد أحْتاجُ عينَ الساهِرِ

ليلى (منفعلة) : أوَ تعْطِفين على مُسَبِّبَةِ الأذى

أوَ تُشفِقِينَ على الخليعِ السادِرِ

ولاّدة : قدجاء «مسكُ» بِشأنِها مُسْتَسْمِحًا

فَعفوْتُ عنهـا

ليلى : يا لَقَلْبٍ طاهِرِ

ولّادة : والآنَ يا « ليلى » ونحنُ بِخَلْوَةٍ

هاتِ الحديثَ عن الحبيبِ الهاجرِ

* * *

ليلى : طَفِقْتُ أَبحثُ فى أحياء « قُرطَبَةٍ »

عنهُ فَقيلَ نأى بل شطَّتِ الدارُ

وفارقَ الأهلَ والخِلّانَ وانقطعتْ

أخبارُه وبكى مَغْناه سُمَّارُ

إلى الجنوبِ مشى فى زَىٍّ مُغْتَرِبٍ

طَوتْهُ بيدٌ وكُثبانٌ وأَمْصارُ

وليسَ من مُخْبرٍ أىَّ البلادِ أَتى

وأىَّ دارٍ بهـا ألقاهُ تَسْيارُ

فرُحْتُ حَيْرى يكادُ الهمُّ يَعْصِفُ بى

واليأس محتدمٌ طوراً ومُنْهارُ

وإذْ «بصبحٍ» ينادينى قِفى ، فمعى

عن «ابن زيدونَ» يا ليلاىَ أخبارُ

ليلى : فأشرقَ الأملُ المخنوقُ فى رِيَبى

ولاّدة(مقاطعة) : قُولى فكُلِّى أسماعٌ وأبصارُ

ليلى : قال«ابنُ زيدونَ»لم تفقِدْهُ«قُرطبةٌ»

(يبدو الارتياح على ولاّدة)

هيَّا إليه فإنَّ الليلَ ستّارُ

سِرْنا إليه فألْفيناهُ مُنْتَحِباً

والدَّمعُ من مُقلتيه ثَمَّ مِدْرارُ

ولاّدة (تبكى): وارحمتاه لهُ :

ليلى : لا تبكِ سيِّدتى

الحزنُ زالَ وزالتْ عنه أكْدارُ

ولاّدة : أين«ابنُ زيدونَ ؟»

ليلى : خَلْفَ البابِ مُنْتَظِرُ

إذنَ الدخولِ

ولاّدة : لِيَدْخلْ عِنْدِىَ الآنا

(تفتح ليلى الباب فيدخل ابن زيدون فتتلقاه ولاّدة فيصافحها ويمشيان ويده فى يدها . تذهب ليلى . تقول ولاّدة)

أهـــلاً بمن فرَّ منَّا ثم خلَّفنا

نهْبَ الهوى صبحُنا ليلٌ وممْسَانا

نُكابدُ الشوقَ والهجْرانُ يلفحُنَا

أُوارُهُ وسُهادُ الليـــلِ أَضْنَانا

أنوءُ من حِمْلِ ما أَلقى ومن عَجَبٍ

قلبٌ يذوبُ وقلبٌ قلمَّا (الْتَانا)

أَبى هوًى كُلَّما حاولتُ أَكتُمُهُ

أَبى التكتمَ واستَعْصى وما لاَنا ؟!

ابن زيدون : قَسَماً بالهــوى بِسِحْرِ لِحاظٍ

بخدُودٍ صَبغتُها من جِراحى

ما سَلوتُ الهوى وحَسْبى وفاءً

إنْ صحا العاشقونَ لستُ بِصاحِ

ولاّدة : هل قُلتَ شعراً جديداً بعد فرقتِنا ؟

ابن زيدون : بلى ، لقدْ قلتُ أَشكو ما أُعانيهِ

ولادّة : قُلْهُ بربِّكَ إنى جِـدُّ مُصغيةٍ

فشعرُكَ العذبُ تَسبينى مَعَانيهِ

* * *

ابن زيدون : (ينشد وولادّة مصغية ووجهها يعبر عن كل معنى فى هذه القصيدة)

يا نائحاً وسَوادُ اللَّيـلِ يُخفيهِ

وهائماً وبيـاضُ الصُّبح يُفْشيهِ

يَسْتمطِرُ الدَّمْع من بَرْحِ الفراقِ فلا

دمعٌ يُهَدْهِدُ آلامَ الهوى فِيهِ

حيرانُ فى مَهْمَهِ الأَقدارِ تقذِفُهُ

يدٌ ويدٌ من الأشجانِ تَطْويهِ

لم تُبْقِ فيهِ تباريحُ النَّوى رَمَقاً

إلاَّ شُعاعاً من الذِّكْرى يُناجيهِ

ذِكْرى حبيبٍ سَقاهُ الكأْسَ مُتْرعةً

من خالص الوُدِّ مُنْسابا على فِيهِ

بينَ الخمائلِ والأنسامُ تُسكِرُهُ

بينَ الجداولِ والأمواهُ تُشْجِيهِ

ووارفٍ من نعيمِ الوَصْلِ لَفَّهما

فى غفوةِ الدهرِ فى أحلى مَجاليهِ

وزَوْرَقٍ عَلَوىٍّ الصُّنعِ ضمَّهما

الحبُّ فى ركبهِ والموجُ حاديهِ

يَنْسَابُ فوقَ لُجيْنِ الماءِ تُرْقِصُهُ

أنغامُـهُ ونُسَـيْماتٌ تُناغيهِ

فى هدأةِ اللَّيلِ والبدرُ الرقيبُ سَرَى

بالسرّ يَفْضَحُ خافيـهِ وباديهِ

دُنْيا من الأملِ المَنْشود حطَّمَها

صَحْوُ الزّمانِ وغدرٌ من ليَالِيهِ

يا هاجِرى لفتةً أرسلْتها فَذكتْ

عهـداً تنوَّرتِ الدُّنيـا بماضيهِ

أَتُرْجِعُ اللّفتةُ البيضاءِ ما دَرَسَتْ

أَيدى الزّمانِ وما كادتْ حوَاشيه

أم أَنها ظلٌّ أفراحٍ يمرُّ على

عُمْرى كظلٍّ سحابٍ مرَّ بالتيهِ

(وما إن انتهى من غنائه حتى صفقت ولاّدة من فرحها وطربها وفى أثناء ذلك يسمعان طرقاً على الباب)

ولاّدة : أُدخُل (تدخل ليلى وصبح مضطربين وما إن تراهما ولاّدة حتى تقول)

أ « صبحُ » و « ليلى » ما وراءكما ؟

صبح : رُســـل « ابن جَهْوَرَ »

ولاّدة : أَغيارٌ وأَشْرَارُ

(يقتحم رسل ابن جهور الباب ويدخلون فتبادرهم ولاّدة قائلة)

بأىّ حقٍ دَخَلْتم ؟

أحد الرسل : إنَّـــا رُسُلٌ

من « ابن جهْوَرَ »

ولاّدة : غدَّارٌ ومَكارُ

ما تَبْتَغونَ ؟

ابن زيدون : أَنا ، لا شَكَّ مَطْلَبُهمْ

هيَّـا إليهِ نَسِرْ واللهُ سَتَّارُ

ولاّدة : (تسر إلى صبح)

اِلْحقْ بِهِ « صُبْحُ » عن بُعْدٍ لتُبْلِغَنِي

مَجرى الأمور فعندَ القوم أَسْرَارُ

فالشرُّ مُسْتَيْقِظٌ والدَّسُّ مُنْتَشِرُ

والظُّـلْمُ شَاعَ وما فى النَّاسِ أَخْيَارُ

(ثم تسر إلى ابن زيدون)

حَذَارِ مِنْ كَيْدِهِم

ابن زيدون : اللهُ يحفظُنا

مِنْ شَرِّهِم ويَقِينا عُصْبَةً جَارُوا

(يذهب ابن زيدون مع الرسل ويتبعه صبح وبعد ذهابهم تقول ليلى)

ليلى : خيراً فعلتِ

ولّادة : إلهى نجِّهِ فلَقدْ

حُمَّ القَضاءِ وسادَ الناسَ جبّارُ

(تتهاوى على أحد المقاعد باكية وبينما هى كذلك وليلى مطرقة أسفاً وحزناً يسمعان آذن الصبح وما إن انتهى المؤذن من أذانه حتى دخل صبح فلما رأته خاطبته ولّادة بلهفة)

ولّادة : أَين « ابن زيدون » ؟

صبح : موْلاتى .

ولّادة : أَمِنْ خَبرٍ عنهُ ؟

أَفى السِّجنِ ؟ أم فى سامرِ الصّيد ؟

صبح (مضطرباً): عفواً

ولّادة : تكلَّمْ فإنى جِـدٌ موقنةٍ

أنَّ «ابن زيدونَ» رَهنُ السجنِ والقيدِ

(يغلبها البكاء)

صبح (بتأثر) : هِيَ الحقيقةُ أُزجيها وَبِى أسفٌ

ولّادة (وقد ترنحت من هول الصدمة) :

وَيْلاهُ مِنْ ظالمٍ قاسٍ ومرِّيدِ

(يغمى عليها فتسقط فتتلقاها ليلى قبل سقوطها وتصرخ)

ليـلى : إلىَّ «صُبح: سُليمى: مسك» نُسْعفها

يا وَيْحهمْ روَّعوا بنْتَ الصَّنَاديد

(تدخل سليمى ومسك مسرعين)

سليمى : (وقد هالها وأحزنها هذا المنظر المؤلم الذى كانت هى سببه . تلتفت إلى النظارة وهى تقول)

ويلِى جَنَيْتُ ولـكنِّى سـأُنقذُهُ

من ظُلمةِ السجنِ من أيَّامهِ السُّودِ

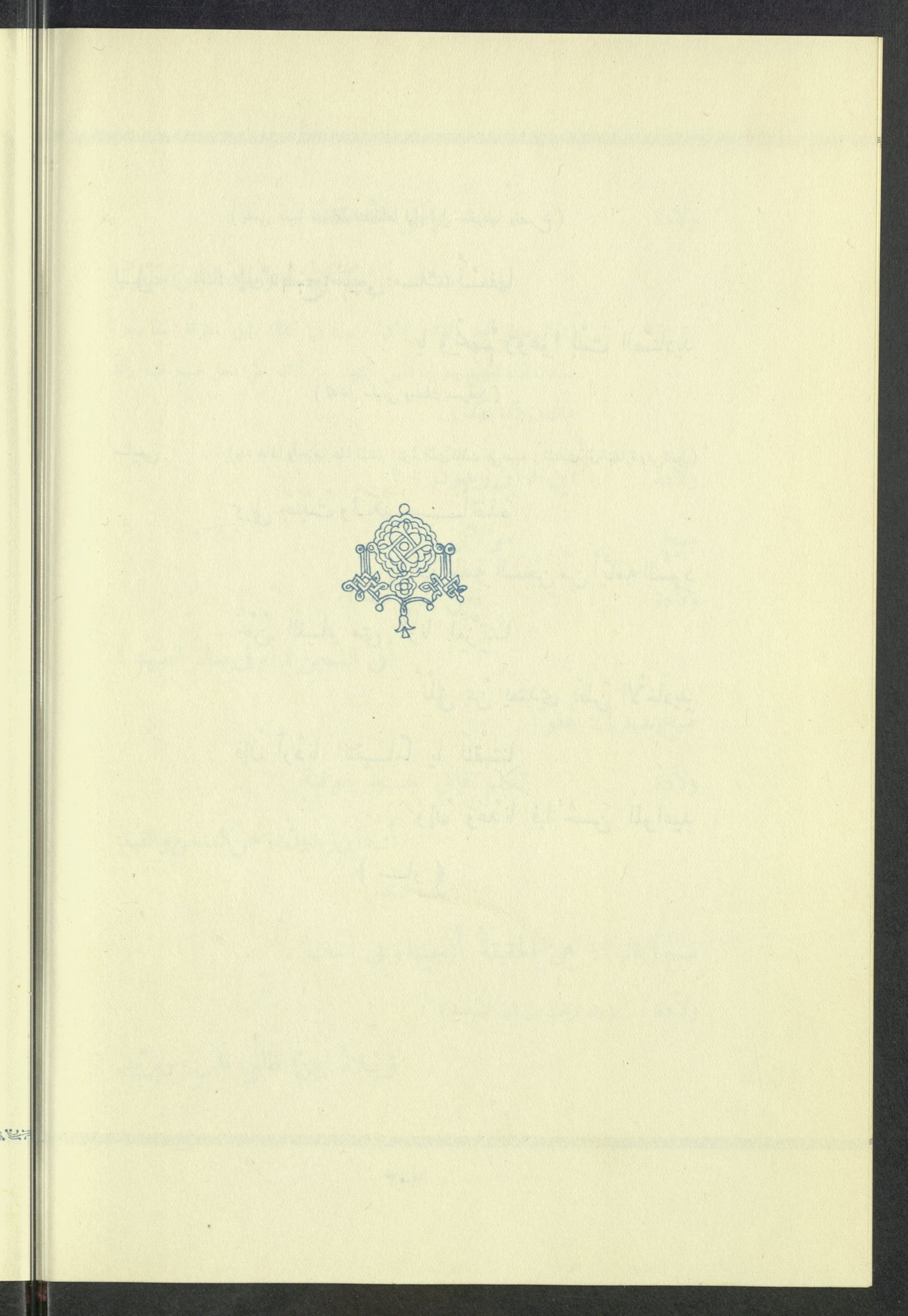
نَحْنُ النساءَ متى ثُرنا لعِزَّتِنـا

نُلْقى بمَنْ يعتَدى بَطنَ الأخاديدِ

فإنْ أردْنا انتقـاماً يا لَنِقمْتِنا

وإنْ وَعَدْنا فيا حُسنَ المواعيدِ

﴿ ستـار ﴾



الفصل الثالث

وفيه خمسة مشاهد

أشخاصه

ولّادة	الخطيب
سليمى	ابن زيدون
ليلى	صبح
مسك	الحارسان

وآخرون

المِشهَدُ الأول

المكان :

دار « سليمى » . نرى « ولّادة » ، « ليلى » ، « سليمى » ، يتآمرن لإخراج « ابن زيدون » من السجن .

الزمان :

بعد العِشاء وقد أُنيرت الدار بنور خافت .

ولاّدة : « سُليمى » : ما الذى تَنوينَ فعلَهْ

بمجنونِ « ابن جَهْوَرَ » فهو أَبلَهْ

سليمى : أَتعنينَ « الخطيبَ » ؟

ولاّدة : نعم « سُليمى » .

سليمى : فديتُكِ سوف أَشْفى منه غُلَّه

أُكَفِّرُ عن ذنوبٍ طىَّ صَدْرى

لها وخزٌ لها ألمٌ وعِلَّهْ

ولاّدة : أَيَسْطِيعُ الغبىُّ قضاءَ أمرٍ

بهِ خطرٌ لعمرى ليس أهلَهْ ؟

ليلى : وإنَّ أباهُ مولاتى حريصٌ

خبيثٌ قد تلقَّن كلَّ حِيلَهْ

تَفَتَّقَ عن دهاءٍ منهُ ذُقْنا

فواجعَ حطَّمتْ ملكاً ودوْلَهْ

(تتنهد ولاّدة)

سليمى (معتدة بنفسها) :

«الخطيبُ ابنُ جَهْورٍ» زِقُّ خمرٍ

عبدُ فُحْشٍ وزيرُ غيدٍ وسامِرْ

أكؤُسُ الرَّاحِ همهُ

ولاّدة : بئس همٌّ

يجعلُ المرءَ بالمعاصى يُجاهِرْ

سليمى : أَنْ يَطُلْ شُرْبُه وكم طالَ ليلاً

فادعُ للرُّشدِ قدْ ثوَتْه المقَابِرْ

عِندها يركبُ المُحالَ ويمضى

مثلَ سيلٍ على البطائحِ جائِرْ

أوْ كَطِفلٍ تَلَمَّس النارَ لا يدْ

رى وفى الجوفِ كامناتُ المجامِرْ

* * *

ولاّدة : هلِ التقَيتِ بهِ من قبلُ ؟

سليمى : سيِّدتى ، قدِ اجْتمعتُ بهِ فى الدارِ مرّاتِ

و «مسكُ» ما بيننا والكأس ثالثنا

وَإنَّهُ الليلَ مولاتى لنا آتِ

ولاّدة : وهل تحَدَّثتُما فى أمرِ شاعرِنا ؟

سليمى : أَجلْ لقد وعدَ المجنون مولاتِى

ولاّدة (بتلهف) : وما هُو الوعدُ ؟ إنى جدُّ يائسةٍ

واليأسُ ضاعفَ أحْزانى وَوَيلاتِى

سُراةُ «قرطبةٍ» جاءوا «ابنَ جهورَ» فى

أمرِ «ابن زيدونَ» مالىَ الشفاعاتِ

ولااستلان ولا استَحْيا وقد زحفتْ

لهُ القصائدُ آياتٍ فآياتِ

سليمى (محتدة) : عفوُ «ابن جهورَ» لا نبَغْيه مولاتى

لا يُرْتجى العفوُ من باغٍ ومِنْعاتِ

المالُ سيِّدتى ، المالُ إنَّ بهِ

سَنَشْترِى متولّى السجنِ بالذاتِ

والمُخْلِصُونَ لمولاتى وأسرَتِها

ولاّدة (بألم وحزن): المخلِصُونَ! اطواهُم سِجن «صَرْوات[1]»

إذا « ابن جهورَ» لم يُطلقهُ، هل سُبُلٌ

أُخرى لديكِ ؟

سليمى : أجلْ شتّى الوسيلاتِ

يَفِرُّ من سِجْنه واللّيْلُ معتكرٌ

إلى « ابن عبّادَ ، »

ليلى (وقد واتتها الفكرة) يا للرَّأىِ مولاتى

ولاّدة (يائسة) : كيفَ السبيلُ إلى الفِرا رِ وقد غدتْ فيه المنونْ

عينُ ابن جَهْور لا تنامُ وفى السجون له عُيونْ

والناسُ جَفَّ وفاؤُهمْ إنى بهم سِئْتُ الظنونْ

سليمى (مواسية) : همٌّ يزولُ إذا صَبَرْنا والخطوبُ غدًا تهونْ

ولاّدة (وقد واتتها فكرة طارئة) :

---

١ – اسم سجن فى قرطبة

رَأيٌ سـديدٌ ما رأيتِ

سليمى : ورأيُ مـولاتِي الرَّصِينْ
منكِ استَقَيْتُ سَـدَادَهُ

ليلى : قُولى نُطِعْ ما تَأمُرِين

ولاّدة (إلى سليمى): قُومِى بدورك « والخطيب »

سليمى : وأنتِ ؟؟

ولاّدة : تدبيرُ الشؤونْ
فالمُخْلصونَ سيُهرَعُون وَيَفْتَحونَ لنا السُّجونْ
والمالُ مِفْتاحُ القلو بِ ومُخْرجُ السرِّ الدَّفينْ

(إلى ليلى) : وقتُ الزيارةِ قد دنا والوقتُ يا « ليلى » ثمينْ
هيَّـا بِنا فلربَّما شفَّ « الخطيبَ » لها الحَنينْ

(يضحكان)

(يدخل مسك)

مسك (هازئا) : مجنونُ « سُليمى » بالبابِ !!

سليمى (لولاّدة) : مولاتى ! المَخْدعَ مولاتِي

(تذهب ولاّدة وليلى)

(إلى مسك) : أَدْخِلْهُ وهَيِّئْ خمرتَه ولْتَكُن السَّاقِيَ بالذاتِ

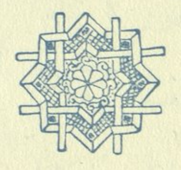
مسك : اللَّيلةَ نسقيه خمراً

سليمى : واللَّيلةَ نَقْتُلُه سُكْرا

مسك (وهوذاهب لفتح الباب)

لنْ يرجعَ بعدُ إلى دارى والسرُّ سنحْفَظه سِرًّا

(ترتب سليمى الغرفه استعدادا لمجيء الضيف وتتطلع الفينة بعد الفينة إلى المخدع)



المشهد الثانى

(يدخل الخطيب بن جهور وهو شاب قبيح الصورة خليع الشكل والهيئة يحيى سليمى تحية المشتاق الولهان ومسك يهز رأسه الملىء بالفتك والغدر)

الخطيب : « سُليمى » (يذهب مسك لإحضار الشراب)

سليمى : (متظاهرة بالحب) حبيبى :

الخطيب : جئتُ والشوقُ رائدى إليكِ وشوقُ العاشقين دليلُ

لقد خِفتُ طولَ البُعد يُودى بمهجتى

فأسرعْتُ

سليمى : عِنْدى من هواكَ مَثيلُ

الخطيب : إذا زالَ شَكِّى

سليمى (متظاهرة بالاهتمام) :

أىُّ شكٍّ

الخطيب : بحُبِّنا

فما قلتِ منى الشكَّ سوف يُزيلُ

(يدخل مسك وبيده طبق عليه زجاجات الراح وتوابعه وعندما يرى الخطيب ذلك يسر ويقول مخاطبا سليمى)

أخمرٌ وساقٍ ! (يرمقه مسك شزرا)

أيا فَرْحتى ،

وبدرٌ تألَّــق فى كوّتِى

حديثٌ وراحٌ هما سَلْوتى

فَــلِمْ كلُّ ذلك يا مُنْيتِى

(يذهب مسك)

سليمى : هــذهِ الرّاحُ يا حبيبى قُبالَكْ

فاترعِ الكأسَ فهى شاءتْ وِصالَكْ

والملذّاتُ وقتها قد صفَا لكْ

(تصب الخمر فى قدحه وتستعد لإسقائه)

الخطيب : هاتِ دمعَ الفجرِ أنسامَ السَّحَرْ

(تعطيه الكأس فيفرغها فى جوفه)

هاتِ نفحَ الطِّيبِ أنفاسَ الزَّهَرْ

(تعطيه كأسا ثانية فيفرغها أيضا)

هاتِ كأسَ الحبّ للصبّ المعنَّى

(تملأ قدحا وتعطيه إياه ويشمه ثم يلتفت إلى سليمى)

هاتِ حُلوَ الصّوتِ من رقْصِ الوَتَرْ

سليمى (صارخة): هاتِ « يامسكُ » (يدخل مسك)

الخطيب : وهَـــذا نَخْبُه

إيتِ بالعودِ فقد طابَ السَّمَرْ

(يذهب مسك لإحضار العود)

سليمى : سَمِعْنا أَطَعْنا

(تصب له قدحا رابعا يفرغه فى جوفه ويقول)

الخطيب : شَرِبْنا سَكِرْنا

* * *

(تضحك سليمى وتظهر على الخطيب أمارات السكر يدخل مسك والعود فى يده يسلمه إلى سليمى ويصب للخطيب كأسا خامسا . ويأخذه الخطيب ويهزه ويقول)

الخطيب : غَنِّنا لحنَ هــوانا وانشدى عهــدَ لِقانا

إنَّهُ الحبُّ دَعانا نحْتَسى منـــهُ مُنانا

يا « سليمى » : يا « سليمى »

(تضحك سليمى ثم تندفع مغنية تصاحبها الأوركسترا من وراء الستار)

الغناء : سَقيتُ غرامى مِنْ دُموعى فما ارتوى

وعنَّفْتُ قَلْبى عن هواكَ فما ارْعَوى

وما أنا مِمَّنْ يَدْمُل الهجرُ جُرْحَهُ

ويُطفىءُ نورَ الحبِّ فى نفسهِ النَّوى

أُقضّى الليالى ساهراً دامىَ الحشا

أقاسِى صُنوفَ البُؤسِ والأينِ والجوى

الخطيب (وقد هاجه الطرب) :

لِلّهِ ما أعــذبَ النَّغمْ والشَّادىَ الحلوَ الأغَنْ

(يجرع كأساً)

الغناء : وحيداً طريداً لا سميرَ سوى الأسى

وقفرٍ من الآلامِ أطويهِ ما انْطَوَى

هو الحبُّ ما استوْلى على قلبِ عاشقٍ

نَدِيّ الهَوَى إلا بِهِ أوهَن القِوَى

(تنتهى من غنائها فيصفق الخطيب ويصرخ من شدة طربه وسكره)

الخطيب : آه مِنْ حبِّى ومِنْ وَيْلاَتِهِ

قَدْ سَقَانى المرَّ مِنْ كاساتِهِ

(يجرع كأساً)

سليمى : أَراكَ تَهْتِفُ جَذْلانا

الخطيب (وقد أخذه السكر يتلوى فى كلامه) :

ونَشوانَا

وغارقاً فى بحارِ الحبِّ هَيْمانا

هَلاَّ مَنَنْتِ على الغرْقان فى لُجَجٍ

بِقُبْلَةٍ يَحْتَسِيها منك إحْسانا

سليمى (وقد واتتها الفرصة) :

إذا وفيتَ بوعدٍ كنتُ أرْقُبُهُ

(بإغراء وفتون)

أعطيكَ ما تَشْتَهى من ثغْرِىَ الآنا

وَإِنْ أَرَدْتَ (تمادى فى الإغراء)

فَصَدْرِى (تضرب عليه)

الخطيب : (يجن شهوة) ليتَ قبرىَ فى

رُمَّانتيْه وليتَ العُمرَ ما كانا

(يقترب منها فى حالة هياج بهيمى والكأس فى يده)

إن شئتِ أطلقتُ ما فى السجنِ من بَشَرٍ

أو رُمْتِ أَعْدَمْتُهُمْ جمعاً وَوِحْدَانا

سليمى : أَنْتَ المُوَكَّلُ بالسُّجُونْ والآمرُ النَّاهى المَصُونْ

وعداً قَطَعْتَ فهلْ تُرى تُوفِيهِ أَمْ تَخْشَى العيُونْ ؟

الخطيب (وقد استفزه كلامها) :

أَأَخْشَى وَمَنْ أَخْشَى وَحُبّكِ والذى

أَمات وأَحْيا لَسْتُ أَرْهَبُ ماجِدا

سَيأْتى «ابنُ زَيْدُونٍ»، وللقيد رَنَّةٌ

إليكِ يَجُرُّ الذلَّ ثوباً وشاهِداً

سليمى : (تربت على كتفه فيأخذ يدها ويقبلها فلا تمانع)

سَتَشْهَدُ يا حبيبى كيفَ أنى

سَأَثأَرُ للكرامةِ مِنْ خؤونٍ

سَيَشْهَدُ حُبَّنا لِيَمُوتَ غَيْظاً

وَيَصْعَقَ حَسْرَةً

الخطيب : يا لَلَّعِين

إلىّ بِقِرْطاسٍ أُسَطِّرُ رُقْعَةً (تناوله طلبه)

إلى متولِّى السجنِ كَىْ يرسلَ الكلْبا

سليمى (بدلال مصطنع) :

لِسانىَ يا روحى عن الشُّكرِ عاجِزٌ

على أنَّ قلْبى يحفظُ الشُّكرَ والحبَّا

(وما إن فرغ من كتابة الرسالة حتى صفقت سليمى فدخل مسك وسلمه الخطيب الرسالة قائلا)

الخطيب : إلى متولّى السجنِ سَلِّمْ رسالتى

وأَسْرِعْ كَلَمْحِ الطَّرْفِ أوْ عَاصِفٍ هبَّا

(يذهب وتعطيه سليمى إشارة لها معناها)

(يلتفت الخطيب إلى سليمى)

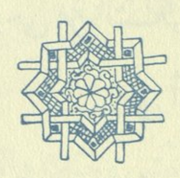
وفيتُ بِوَعْدى أَوْفِ وَعْدِكِ مُنْيَتى (يجرع كأسه)

سليمى (متظاهرة بالعزم على الوفاء) :

سَأُنْجِزُ وَعْدِى إنَّنى أُشْهِدُ الرَّبَّا

الخطيب : إذْن غَنِّنى لَحْنَ الْخُلُودِ مُجَنَّحاً

لأُورِدَ نَفْسِى مِنْهُ مَنْهلَهَا العَذْبا



المشهد الثالث

الخطيب (يناول سليمى العود وقد كاد يقع من سكره فتأخذه منه) :

غَنِّ يا سَلْمَاىَ غَنِّى

إنَّ فى العــود الأغنِّ مُنْتَهى التَرْفيـهِ عَنِّى

غَنِّ يا سَلْمَـــــاىَ غَنِّى

الغناء (يمليه عليها) : تَعالى نَبُلّ الشَّوْق مِنْ خَمْرة اللّمى

ونَرْشُفُ أكْوَابًا من الحُبِّ والهنا

نَضُمُّ فُؤَادَيْنا بِنَفْحٍ من الرِّضا

ونَشْرب نُخَبَ الصَّفْوِ من مَبْسَمِ المُنَى

وقُومى نُهَدْهِدْ حُبَّنا دُون نَغْمةٍ

هى القبلاتُ البِكْرُ مِنْ فِيكِ تُجْتَنَى

فَيَلْتَصِقُ الصَّدْرانِ من رَعْشَةِ الهوَى

وَيَخْفِقُ قَلْبَانا بِنُعْمَى وِصَالِنا

سليمى (معجبة بهذا الشعر) :

اللهُ أَكْبَرُ هذا الشعرُ ما طربتْ

أُذْنى لأَجْملَ مِنْه لا ولا سَمِعَتْ

الخطيب (وقد سرت به النشوة):

غنِّ يا سلماىَ غنّى إنّ فى العودِ الأَغَنّ

مُنْتَهى التَّرْفيهِ عَنّى غَنِّ يا سَلْماىَ غَنّى

(تندفع سليمى مغنية تصاحبها الأوركسترا من وراء الستار ولما انتهت من غنائها صفق لها الخطيب وكاد يقع من مقعده من شدة ما صفق)

مسك (يدخل) «ابنُ زَيْدُونٍ» حَضَرْ

الخطيب : أَدْخِلْهُ وَانْصرِفْ

(يذهب مسك)

(يدخل ابن زيدون مكبلا ومعه حارسان مدججان بالسلاح يشير الخطيب إلى سليمى قائلا)

هَذا «ابنُ زيدونَ»

سليمى (متظاهرة بالانفعال) : لا مرْحى له فَلَكم

أسقانىَ الذُّلَّ أشكالًا وألوانا

ابن زيدون (بحنق) : والآن رُمتِ انتقاماً بى

سليمى (تتصنع الكبرياء) : أَجلْ سَتَرى

مِنَ العَذابِ صُنوفاً

ابن زيدون (غير مكترث) : مَطْلبٌ هَانَا

سليمى : أَلَسْتَ تَخْشى الرَّدى ؟

ابن زيدون : يا مرحباً بِرَدىً

أَلقاهُ بَيْنَ يديكِ اللّيل جذْلانا

الخطيب (إلى سليمى) :

تَعْساً لهُ ما رأتْ عيني ولا بَصُرَتْ

أشْقى وأَنكَدَ حظًّا مِنْهُ إنْسَانا

ابن زيدون (متهكماً) :

ولا تَصَوَّرْتُ يوماً أَن أُساقَ إلى

مَباءَةٍ ضَمَّتِ السَّكرى (يشير إليها)

وسَكْرانا

(يشير إليه)

الخطيب (منفعلا) : اُسْكُتْ

(يقوم من مقعده ليضربه وإذ يهم أن يفعل ذلك يهوى بالكف فلا يصيب ابن زيدون بل يقع أرضا من سكره وهو يكرر كلمة « اسكت » . ترفعه سليمى يساعدها الحارسان)

سليمى : خَسِئتَ فما مثل «الخطيبِ» فتىً

خُلْقاً وعِلماً وأمجاداً وسُلْطانا

(يهز الخطيب رأسه مؤمنا على كلامها . تهمس فى أذنه)

اِصرفِ الحراسَ عَنّا

الخطيب (إلى الحارسين) : إذْهَبا

الحارسان : أمراً أَطَعْنا (يذهبان)

الخطيب (لسليمى) : وفيتُ بِوَعْدى أينَ وعدُكِ إنَّنى

لَفِى ظَمأٍ والماءُ حَوْلِىَ جارِى

سليمى : سَأُنْجِزُهُ هذا ابنُ زيدونَ حاضرٌ

لِيَشْهَدَ يا رُوحى بوادرَ ثارِى

(يهز ابن زيدون رأسه حنقاً)

فَدَعْنى أُهَيِّئُ للوَقيعةِ خِنْجَرِى

(تربت على خده بدلال)

وَلِلوَصْلِ هِنْدَامى ولِلحُبِّ أَوْتَارى

(يقبل الخطيب يدها ، تذهب)

المشهد الرابع

الخطيب : ابن « زيدونٍ » أجبنى ما الذى يَشْغَلُ بالكْ

ليتَ « ولاّدةَ » معْنا تَشهدُ اللَّيْلةَ حالكْ

ابن زيدون (محتدا) :

لا تُدَنِّسْ أيها الوغدُ اسمها

ليتَنِي حرٌّ لحطَّمْتُ فَمكْ

الخطيب (باستهجان) : أَنتَ ! !

ابن زيدون : إِى واللهِ

الخطيب : قُبِّحْتَ فتىً

سوفَ أَسقى ذا الثرى اللَّيلَ دمَكْ

ابن زيدون : لستَ تسطيعُ اقترابًا

الخطيب : سَنَرى

عِندما تأْتِي « سُلَيمى » ندمَكْ

ابن زيدون : أَيُّنَا يَنْدَمُ يا غِرٌّ ! !

الخطيب : أَنا ؟

ابن زيدون : إِي نعمْ ،

الخطيب(منفعلا): وَيْلاهُ ياما أظْلَمَكْ

قَدْكَ واللهِ لقَدْ أغضَبْتَنى

خانني الصَّبْرُ

ابن زيدون : أَأَخشى قسَمَكْ

(يقوم الخطيب من مقعده يريد الوقيعة بابن زيدون ومن شدة سكره يقع على المقعد مرارا قبل أن يتمكن من الوقوف وأخيرا يقف مترنحا ذات اليمن وذات الشمال وهو يقول) .

الخطيب : سَوْفَ تخشى سوف تبكى أسَفاً

ابن زيدون : لستُ بالآسِفِ

فاسكُبْ تُهمَكْ

(يذهب الخطيب إلى مكان ابن زيدون وهو يترنح من سكره ويقول)

الخطيب : نِقْمتى حلَّتْ ،

ابن زيدون : تَقَدَّمْ إِنَّنِي

جِـــدٌّ مُشْتَاقٍ لِأَلْقَى نِقَمَكْ

* * *

(يهم الخطيب بلطم ابن زيدون فينطحه هذا فيقع الخطيب أرضاً وهو يصرخ)

الخطيب : أَتَنْطَحُنى يا وغْدُ

ابن زيدون : يا ليتَ أَنَّى

طليقٌ لكنتَ الليلَ فى القبْرِ ثاوِيا

لَعَلّى أُرِيحُ النَّاسَ مِنْ ظُلْمِ بَرْبَر

قُسَاةٍ غِـــلَاظٍ ،

الخطيب : (يحاول القيام وهو يقول) كالجبالِ رَوَاسِيا

سَتَلْقَى لعَمْرى مِنْ وَقائع فَتْكِنَا

شَدَائِدَ ألواناً تُشِيبُ النَّواصِياَ

(يقف على قدميه ولا يزال يتمايل)

ابن زيدون : أَتُوعدنى تاللهِ ما خفتُ غَيْرَه

ولن أَشْتكى إلّا إلى اللهِ حاليا

وَكلتُ له نَفسى مَصيرى وقِسمَتى

فلنْ أرتَضى إلَّاهُ مَولًى ووالِيا

الخطيب (وقد اهتاجه الكلام . يستل خنجره ويقترب من ابن زيدون) :

لقد هِجتَنى يا كلبُ والصبرُ خانَنى

ولم تُبقِ فى قوس التحمُّلِ باقياَ

ابن زيدون : أراكَ ترومُ الغَدْرَ والقيْدُ مانِعى

بِرَازِكَ حُلَّ القيدَ إنْ كنتَ ناوِيا

الخطيب : سأنتقمنَّ الآنَ مِنكَ بِطَعْنَةٍ

تُريحُكَ مِنْ همِّ الحياةِ وَهمِّيا

(يتقدم ليطعنه . تظهر سليمى وخلفها ولاّدة وليلى وصبح ومسك وآخرون يشرن إلى ابن زيدون بالسكوت . تمسك سليمى الخطيب من يده خلفا فيصرخ)

«سُلَيْمى» دَعِينى أَقتُلُ الوَغْدَ إنَّه

أهاج حِفاظى واستباحَ دِمائِيا

وَأَفقَدَنى رُشدِى وَوَعْيى وَهَيْبَتى

سليمى : وَتَقتُــلُه ؟

(يهوى صبح بهراوة على رأسه و يتبعها مسك بأخرى فيسقط الخطيب فاقداً الرشد)

ولاّدة : قُبِّحْتَ نذْلاً وجانيـــا

(تذهب ولاّدة وليلى وسليمى لفك قيد ابن زيدون وتبدأ ولاّدة فى فك إساره)

ابن زيدون : (وقد راعه هذا الوفاء والإخلاص . يقول)

أتَفُكّين إســارى وتُقيلينَ عِثــارِى

وعيــونُ القوْمِ يَقْظى تأخذينَ الليلَ ثارى

ولاّدة : (وقد فكت قيد ابن زيدون ترمى بالقيد إلى سليمى وليلى ليقيدا الخطيب وهى تقول)

قيّدُوه واجعلُوا منه عظاتٍ

تَرْدَعُ الظُّلاّمَ والقَوْمَ اللِّئاما

(إلى ابن زيدون) : لا تخَفْ إنّا كفيناك الرَّزَايا

(تلتفت إلى سليمى) أَدْخِلُوا الحرّاسَ

(يدخل صبح ومسك وآخرون يحملون الحارسين وهما مغلولان مكممان فيرمون بهما أرضا . تلتفت ولاّدة الى ابن زيدون مبتسمة فتقول)

قــــد نِلْنــا المرَاما

(يحملون الحارسين والخطيب و يخرجون بهم ثم يعودون إلى ولاّدة)

المشهد الخامس

ولادة : (تخاطب المتآمرين وتلتفت إلى النظارة وقد أخذها الحماس)

بنتُ حَرْبٍ [1] أقْسَمتْ ألاّ تناما

عَنْ حقوقٍ تَصْرُخُ اليومَ انْتِقاما

مِنْ عُداةٍ حَطَّموا مُلكى ومَلكى

واستباحوا المالَ والبيتَ الحراما

يا دمَ الأجْدادِ حَيَّاكَ الحيا

وسَقَى الغيثُ رُفاتاً وعِظاما

نحنُ آلينا على أَنْفُسِنا

أن نغذِّى الطيرَ أَشْلاءً وهاما

صرخةُ الثَّأرِ تعالَى صَوْتُها

مِنْ قلوبٍ ثاكلاتٍ تتدامى

---

١ – حرب ابن أمية بن عبد شمس .

مِنْ رِجَالٍ قُتِلُوا أَوْ شُرِّدُوا

مِنْ عَذَارَى رُحْن سَبْيًا وأيامى

يا دَمَ الأجْدادِ فى دار البقا

طَيَّبَ الله تُرابًا ومُقَاما

ابن زيدون : لبيكِ يا بنتَ الخلائفِ سادةِ الدُّنيا أُميَّهْ

لبيكِ سيِّدةَ البلادِ وربَّةَ الوادى الأبيَّهْ

سِيرِى بنا فنُفوسُنا وقلوبُنا استعرتْ حَميَّهْ

بالثأرِ يَصْرُخُ شِيبُنا وشَبابُنا ارتخصَ المَنيَّهْ

من كل أروَعَ فى النِّضالِ محنّكٍ يومَ الرَّزيَّهْ

ثبتِ الجَنانِ كأنَّه قد قُدَّ من صَخْرِ البَلِيَّهْ

ولاّدة : (تخاطب الحاضرين)

هيِّئوا أيها الرفاقُ رِكابى

آنَ وقتُ الرَّحيل يا أَصْحَابى

عَن بلادى مَقرِّ مُلْكى وأهلى

وابتسامِ الصِّبا وفجرِ شَبَابى

(يذهبون للاستعداد ولا تبقى إلا ولادة وابن زيدون)

(ولادة إلى النظارة)

هكذا شاء يا فؤادىَ حُبى

ووفائى لمن أُحِبُّ طَغَى بى

أيُّها الموطِنُ العــزيزُ وداعاً

أيُّها الحبُّ قد شَدَدْتُ رِكابى

لا أُبالى وشاعرُ الكون قُرْبى

لا أُبالى أطالَ لَيْلُ اُغتِرابى

أيها العاشقونَ هٰذا كتابى

أيها المُخْلِصونَ هٰذا خِطابى

ابن زيدون : أنتِ فرعاً ومَحْتِــداً ومُقاماً

فى ذُرى المجدِ فى صَياصى القَبِيلَهْ

أنتِ فى التّاجِ كابرٌ بَعْدَ كابرٍ

أنتِ فى الصِّيد من قريشٍ سَلِيلَهْ

أنتِ للنَّـاسِكينَ هَدْىٌ ونورٌ

أنتِ للبائسينَ نُعْمَى جَزِيلَهْ

أنتِ للشـاعرِ المُتَيَّمِ نجْوَى

أنتِ أنتِ الَّتى تُنيرُ سَبِيلَهْ

وتُشيعينَ فى مَجَـالِيهِ أُنْسا

صاخبًا راقصًا يُرَوِّى غَلِيلَهْ

والمُنَى تجْعلـينَ طوعَ يديهِ

والليالى كألفِ ليْلٍ ولَيْـلَهْ

يا ليَاليكِ ما أحيلاكِ فيها

واللَّيـالى المِلاحُ جِدُّ قَلِيلَهْ

إِذْ تُديرينَ مِنْ حَديثِك راحًا

وتَجُودينَ بالمعَانى الجَلِيـلَهْ

وتَقُولينَ والقَوافى طِـواعٌ

وعُيونُ الكلامِ تأتى ذَلِيلَهْ

أنا واللهِ للجمَال مِثــــال

أَنا « واللهِ فى المعالِى أَصيله »

وَإذا الشاعِرُونَ بالحبّ غنَّوْا

وأجادُوا فمَنْ سِوَاىَ الوَسِيله

أنتِ « ولاّدةُ ابن زيدون ، »

ولاّدة (مقاطعة) : أَعْظِــــمْ

بالحبيبينِ فى المغانى الأثيــله

* * *

(يقترب منها ويضع يده على كتفيها ثم يأخذها إليه ويندفع فى قوله)

ابن زيدون : قمرَ « الزّهراء » رَبِّى أطلعكْ

فى سَمــائى ما أُحيْلى مَطْلَعَكْ

أنتِ سرُّ الكونِ ما أعظَمَهُ

أىُّ سِحْرٍ بابِلِيّ أَوْدَعَكْ

كنتُ أخْشَى المَوْتَ فى سجنى أسًى

وَفُؤادى قبْلَهُ ما وَدَّعَكْ



فإذا الجُـــدُّ يُوَاتينى مسا

وإذا الدُّنيـا ونُعْماهَا معَكْ

هل يَـانى مُسْعِفِى يومَ اللقّا

لَيت شِعْرِى مُنْجِدِى كَىْ أُسْمِعَكْ

« يا أخا البـــدرِ سَنَاء وسنًى

حفظَ اللهُ زمانًا أَطْلعَكْ »

ولاّدة : جادَ بالوَصْلِ وقـــد ضَنَتْ به

غيرُ الدَّهْرِ عسى أَنْ تخْدَعَكْ

ابن زيدون : سَنَوَاتٌ خَمْسُ فى السِّجْنِ وَمَا

نَسِى القلبُ الهوَى أَوْ ضيَّعَكْ

ولاّدة : يَا حَبِيبِى ضُمَّـنِى وَاُهْتُفْ معى (يضمها)

« أَجْمَلُ الأَيَّام يوْمٌ أَرْجَعَكْ »

ابن زيدون : (وقد هتفا معاً « أجمل الأيام يوم أرجعك » يقول)

يا ظِـــلالى المرَحاتُ ارتقبى

ثورةً كُبْرى تدُكُّ الظَالِمينْ

تاجُ آبائكِ مَنْ أَوْلَى به

أَهُمُ البَرْبَرُ أَم هٰـذا الجبينْ ؟

أُقْسِمُ اليـومَ بِحُبّي وَأَبي

وبآبائكِ والبيتِ الأَمِينْ

سوفَ أَسْعَى جَاهِدا حتّى أرى

تاجَ حَرْبٍ مَفْرَقًا مِنْكِ يَزِينْ

إنَّ للظُّـلْمِ وإنْ طَالَ المَدَى

سـاعةً والحقُّ يَعْلُو وَيَبِينْ

(يسمعان حركة فيبتعدان . تدخل سليمى وليلى وصبح ومسك)

سليمى : إلى ابن عبَّادِ مولاتي ،

ليلى : إِلَيْهِ فقَـدْ

آنَ السُّرى

ولّادة : فَلْنَسِرْ

(تلتفت إلى ابن زيدون) واللهُ يَرْعَـانا

(تصدح موسيقى القافلة وتسير هذه الجماعة ، ويسدل الستار تدريجاً على الفصل الثالث والأخير)

